الفصل الثاني

أدب الأطفال
أهميته وتاريخه

obeikandl.com

obeikandl.com

أدب الأطفال

قبل الحديث عن أدب الأطفال لا بد من التوقف عند الأدب عامة؛ لأنه - في نظري - وسيلة من أهم الوسائل التي ينبغي استغلالها والتعامل معها بشكل إيجابي وخاصة في تربية الأطفال.

ولقد اهتم الأوروبيون بالأدب ونظروا إليه نظرة أبعد وأوسع مما نتصور، فهو في رأي بعضهم يأخذ مكان أشياء عديدة «مكان الترحل أو الإقامة في بلاد غريبة، مكان الخبرة المباشرة، وبديل وهمي عن الحياة، ويمكن أن يستعمله المؤرخون كوثيقة اجتماعية»[1].

ويعدون الأدب أيضاً «نظاماً غير خاضع لاعتبارات الزمن»[2].

«وأنه مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة»[3] «وأنه شكل من أشكال الفلسفة»[4].

ولقد فطن أسلافنا إلى الأدب وعرفوا مكانته وتأثيره، واستخدمه المسلمون في ساعات الشدة أحسن استخدام. ففي القادسية جمع سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - القرَّاء وذوي الرأي وأصحاب النجدة والمروءة، وكذلك جمع معهم الشعراء والخطباء، مثل: الشماخ،

---

(١) نظرية الأدب: رينيه ويليك، وأوستن دارين، ترجمة محيي الدين صبحي/ ٣١، ط ٣.

(٢) المصدر السابق/ ٤٠.

(٣) المصدر السابق/ ٩٧.

(٤) المصدر السابق/ ١١٥.

والحطيئة، وأوس بن معزاء، وعبدة بن الطيب، ودفعهم إلى ساحات القتال وقال لهم: «انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم، ويحق لهم عند مواطن البأس... إنكم شعراء العرب وخطباؤهم، وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس فذكّروهم وحرضوهم على القتال، فساروا فيهم»[1].

وروى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: «كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم»[2].

وتمثلت معجزة الإسلام ـ القرآن الكريم ـ في أسلوب فني أدبي معجز، نفذ كالسحر في قلوب الناس، وفي قلوب أرباب الفصاحة والبيان وفرسان البلاغة والكلام فخضعوا لسلطانه، ووقعوا تحت تأثيره، واستجابت له نفوسهم وقلوبهم، فغيَّر حياتهم، وبدَّل أفكارهم، وقلب موازين الأمور عندهم[3].

«ومن هنا كانت الكلمة أمانة.. إنها موقف ومسؤولية، وهي شرف والتزام ليست للدعابة، أو التسلية، أو تزجية أوقات الفراغ...»[4].

فالأدب في هذا العصر من أهم الوسائل المؤثرة في مسيرة الأجيال، وتربية النشء، وإدخال الأفكار، وتشكيل الوجدان. ولقد استفاد من هذه الوسيلة أصحاب المعتقدات الوضعية والفلسفات المادية حتى نقلوا عن طريقه إلى شعوب الأمة الإسلامية كل آرائهم وفلسفاتهم، وأدخلوا في نفوس الناشئة كل ما يريدون من معتقدات ومذاهب عن طريق الأقصوصة

---

(١) الطبري ٣/ ٥٣٣، وانظر كتاب: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: للدكتور عبد الرحمٰن الباشا رحمه الله/ ٨٦.

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١/ ٩٥، نقلاً عن كتاب: النظرة النبوية في نقد الشعر: الدكتور وليد قصاب/ ١٠.

(٣) المصدر السابق/ ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) المصدر السابق/ ٢٤ ـ ٢٥.

والرواية، والمسرحية، والشعر، والمقالة، والنقد، وباسم الفن، والمذاهب الفنية والأدبية.

وكان تقصير المسلمين في هذا الشأن واضحاً كبيراً، حتى غدوا عالة على غيرهم، يأخذون ويقلدون، ويتأثرون ويتابعون بمعرفة وغير معرفة، وكان نصيب أدب الطفل من هذا التأثر والتقليد كبيراً.

أهمية أدب الأطفال:

وأدب الأطفال مهم جداً في هذا المجال، لأنه يؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في عقل الطفل ووجدانه، ومثل هذا التأثير الذي يستجيب له الطفل بسهولة يحقق أهدافه المبتغاة منه، ولا سيما أن عقل الطفل في هذه المرحلة خامة ليّنة يمكن تشكيلها بالصورة التي نريد، ولأن نفسية الطفل ـ أيضاً ـ كالصفحة البيضاء يمكن أن نخط عليها ما نشاء. والطفل في مراحله الأولى يقنع بكل جواب، ويصدق كل ما يسمع من والديه وبيئته، كما أنه يقلد ما يراه من حركات وتصرفات، ولهذا كانت مسؤولية الوالدين أولاً، والمربين ـ ومن بينهم الأدباء ـ كبيرة لتأثيرهم على الطفل.

ولا ينكر أحد أن أدب الأطفال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسرة[1]، فالجدة والجد، والأم والأب كانوا ينشدون لأطفالهم، لأن هذه الأناشيد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمهام التربية، فهي وسيلة وغاية في وقت واحد... وكذلك كانت الحكايات والقصص المأخوذة من تاريخ الأمة، أو تقاليدها، وهي ترمز إلى بعض القيم، أو تستثير خيالات الأطفال.. كانت هذه الحكايات والقصص جزءاً من شخصية الجد والجدة والأب والأم في الأسرة بالنسبة للأطفال، ولا سيما أن تربية الأطفال عند المسلمين لا تقف عند تعليمهم، وإنما تمتد إلى تربية خلقهم، وبعث الصفات الحسنة، والصفاء في نفوسهم، وتنظيم العادات الطيبة فيهم، وهي ترسم للأطفال الطريق لتكوين

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: للدكتور نجيب الكيلاني/ ٢١.

الإنسان الناجح الصالح الذي ينفع دينه وأمته وأسرته ونفسه[1].

كيف لا والحديث الشريف يصف الولد بأنه ثمرة القلوب «الولد ثمرة القلوب»[2] ولذا كانت النساء تغني للأطفال، وترقصهم، وتبث من خلال هذه الأغاني أسمى المعاني وأطيب الأخلاق، إضافة لإمتاعهم بهذا الغناء المنبعث من صدق الأمومة.

كانت فاطمة رضي الله عنها تُرقِصُ الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ وتقول:

وا بـأبـي شـبـهَ الـنـبـي لـيـس شـبـيـهـاً بـعـلـي[3]

وفي هذا ما فيه من دفع الصبي للسمو، والاقتداء برسول الله ﷺ جده. وكذلك كان المسلمون يفعلون بأولادهم، فالزبير ـ رضي الله عنه ـ يُرقِصُ ابنه عروة ويقول له:

أبـيـضُ مـن آل أبـي عـتـيـقِ مـبـاركٌ مـن ولـد الـصِّـديـقِ
ألـذُّه كـمـا ألـذّ ريـقـي[4]

من هذا كله نرى كيف اهتم الإسلام بالطفولة، وكيف وضع الأسس الواضحة لتنشئة الأطفال تنشئة صالحة، والأدب أو الكلمة الطيبة كانت وسيلة مهمة، منذ أن اختار الله عز وجل كتابه الكريم ليكون معجزة رسول الله ﷺ للعالم إلى يوم الدين. فهل كان الأدب بعيداً عن الطفولة؟ إن ذلك من الأمور التي لا يعقل أن يهملها المسلمون، لأنهم كانوا يقبلون على قراءة كتاب الله، ويحثون أطفالهم على سماعه وتلاوته وحفظه، وفي

---

(١) التربية والتعليم: د/ أحمد شلبي/ ٢٩٢.

(٢) الهيثمي في مجمع الزوائد/ ٨ ـ ١٥٥، كتاب البر والصلة، رواه أبو يعلى والبزار عن أبي سعيد.

(٣) العقد الفريد: لابن عبد ربه/ ١ ـ ٢٧٨، وفي رواية «إن بني شبه النبي ليس شبيهاً بعلي».

(٤) تأديب الناشئين/ ١١٨.

هذا ما فيه من تأثير شامل في الأذواق والسلوك والفكر والتجارب، فيه قصص الماضين، في إمداد الخيال إلى ما بعد الحياة، فيه رحلات عبر الكون وفي أعماق النفس، فيه استحثاث العقل الصغير على التفكير والإبداع والتخيل، والفهم والتدبر، فيه تربية وإعداد وسلوك...

وكذلك هناك الجلسات التربوية لسماع رسول الله ﷺ في أحاديثه المتنوعة.. في تلك الحكم البليغة والأحاديث العظيمة وهناك الشعر، وقصص الماضين، وهناك حديث الإسراء والمعراج التي كانت أسبق من أي نص في إثارة العقل ودفعه للتخيل، والتفكير.

وهناك القصص الكثيرة على ألسنة الحيوانات: على لسان الطير والنمل، وحديث عن النحل، وحديث عن البقرة، إلخ.

ثم ألم يخرج الأطفال مع الكبار لاستقبال رسول الله ﷺ عندما هاجر إلى المدينة، وانتظروا ثم انتظروا حتى أحرقتهم الشمس، ولما وصل بعد طول انتظار استقبلوه بهذا النشيد العذب:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وَجَبَ الشكر علينا ... ما دعا لله داع[1]

ثم ألم يخرج الصبيان لملاقاة جيش مؤتة العائد، الجريح الذي فقد ثلاثة من قواده الأبرار العظماء: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنهم ـ فلما وصل الجيش ضربوه بالحصى وقالوا للجند: يا فرّار؛ لأنهم عادوا ولم يستمروا في القتال.. ولم يقنعهم شيء إلا تأكيد الرسول ﷺ بأنهم كُرَّار إن شاء الله، وليسوا فراراً.

الأدب عند أطفال المسلمين، أو أدب الطفل عند المسلمين عاش

---

(١) انظر في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٢١٩، ط ٥، وانظر كتاب: تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين/ ١١٨، تحقيق محمد إبراهيم سليم، وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٦.

مع الأدب الإسلامي جنباً إلى جنب، لكنه لم يعرف هذه المصطلحات والتقسيمات التي كَلِف بها العصر الحديث، إنه الأدب الذي عاش مع كتاب الله، وسنة رسوله، ومع سيرة الدعوة وأسهم في إعداد الأجيال المتعاقبة.

«فأدب الأطفال هو النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم، وقدرتهم على الفهم والتذوق، وفق طبيعة العصر، وبما يتلاءم مع المجتمع الذي يعيشون فيه... ولا يمكن أن نبحث عن أدب الطفل بالصورة التي يعرفها هذا العصر، كما لا يمكن أن نبحث عن أي لون أدبي، أو عن أي علم بالصورة التي نعرفها اليوم. فكل عصر له سماته وله طبيعته، وله أذواقه وأسلوبه».

أدب الأطفال عبر التاريخ:

لقد اختلفت نظرة الباحثين إلى بدايات هذا اللون من الأدب، فعدّه كثير من الباحثين أدباً جديداً، لم يعرف إلا منذ قرنين من الزمان[1] ولكن آخرين يرون أن أدب الأطفال قديم مع قدم الأمومة والطفولة «فحيثما توجد أمومة وطفولة آدمية يوجد بالضرورة أدب الأطفال بقصصه وحكاياته

---

(١) بحث مخطوط: أدب الأطفال الإسلامي ـ واقعه وهمومه: للدكتور عبد الباسط بدر، وأدب الأطفال: بقلم فرجينا هافيلاند، عرض: محمود علي، مجلة الفيصل العدد/ ٦٤ شوال ١٤٠٢ هـ، الموافق (أغسطس) ١٩٨٢ م ص/ ٨٣ وما بعدها.. حيث ترى الباحثة أن تاريخ هذا اللون لا يزيد عن قرن من الزمان، وكتاب: أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه: بقلم هادي نعمان الهيتي/ ٧٢، ٧٣ حيث يقول الكاتب: «وأدب الأطفال لم يكن طارئاً على الأدب العربي فحسب، بل هو طارىء على الآداب العالمية كلها، لأن الإنسان لم يقف على سلوك الطفل وقفة علمية إلا في السنين الأخيرة» ص/ ٧٢ وواضح من هذه النظرة أن المؤلف لم يطلع على شيء مما كتبه العلماء المسلمون عن الأطفال وسلوكهم وتربيتهم. ولذلك بنى رأيه على ما لديه من ثقافة غربية. وكتاب (ثقافة المجتمع وعلاقتها بمضمون كتب الأطفال) تأليف د/ عواطف إبراهيم محمد، دار المطبوعات الجديدة ط ١٩٨٤ م.

وترانيمه وأغنياته وأساطيره وفكاهاته، لا يخرج على هذا القانون الطبعي لغة، ولا يشذ عنه جنس»[1].

والواقع أن أدب الأطفال كغيره من الأجناس الأدبية والفنون الأخرى كانت له صور معروفة منذ القديم تتلاءم مع طبيعة العصر وثقافته، وطبيعة المجتمعات ومعتقداتها وأفكارها، وعاداتها وتقاليدها. فكما أن النقد الأدبي، والقصة، والشعر، والمقالة، والأدب عامة، كان قديماً، ولكن صوره في القرون البعيدة لم تكن كصورته اليوم، ووضوحه وقواعده لم تكن كما عرفها العصر الحديث الذي بدأ يقنن، بل افتن في التقسيم والتبويب والتخصيص، فكذلك كان أدب الأطفال.. فهو قديم، ولعله أقدم من جميع الأجناس الأدبية الأخرى، لأنه يواكب ظهور اللغة ذاتها، وارتباطها بصور التعبير عن الحياة الإنسانية، والتعبير البسيط هو الذي يمثل الحياة الفطرية، ويصور العاطفة الإنسانية، عاطفة الأمومة والأبوة نحو الطفل بتعبيرٍ واضح، وصورٍ مأخوذة من البيئة ذات دلالات وإشارات إلى القيم والعادات والمعتقدات، وهذا أمر طبيعي جداً، لأن أدب الأطفال يختلف عن أدب الكبار، بلغته وصوره وأساليبه، أدب يخص عالم الصغار، عالم البراءة.

ولهذا يرى بعضهم أن أدب الأطفال يرتبط (بالفلكلور)، و (الفلكلور) موجود لدى كل الشعوب منذ القديم[2]، ولقد دلت الكتابات القديمة على أن الإسبرطيين كانوا - على سبيل المثال - يربون أبناءهم تربية عسكرية خشنة، وكذلك سجلت الحضارة الفرعونية بعض الآثار التي ترمز إلى أدب

---

(١) في أدب الأطفال: د/ علي الحديدي/ ص ٧٩ ط/ ٣١، ١٩٨٢.
وانظر: الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال: صبيحة فارس/ ١١، النادي الثقافي العربي/ ١١ الناشر مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة.

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف سعيد أحمد حسن/ ٢١، ط ١، ١٩٨٤ م، منشورات مركز هيا الثقافي.

الطفل، ومثال ذلك ما كانت تقصه الجدة العجوز على الصغار في الليل وكانت الأم تملأ وقت طفلها باللعب والحكايات، ولذلك سجل الفراعنة ما كان يحكى للصغار من قصص، ولعلها أقدم القصص التي سجلت في التاريخ وهي في معظمها تقوم على الخرافة، ومنها «قصة جزيرة الثعبان» وقصة «التاج والفيروز» وقصة «النسر المسحور» وهي تدل على أسلوب حسن ملائم للأطفال فيه تكرار وحسن انتقال بين الأحداث، وأسلوب مؤثر للأطفال، إضافة إلى بعض القصص المصورة على الجدران[1].

وإذا عدنا إلى تراثنا العربي والإسلامي فإننا نجد ألواناً كثيرة تدل على هذا الأدب، وهذه الألوان تمتزج بأساليب التربية التي كانت تستخدم مع الأطفال.. وتمتزج بمحبة الولد عند العرب. ومن مظاهر هذا الحب أنهم كرهوا أن ينام الطفل وهو يبكي؛ ولذلك كانوا يرقصونه ويغنون له.. ويؤثر عن ليلى الأخيلية الشاعرة أنها أجابت الحجاج عندما سألها عن ولدها وقد أعجبه ما رأى من شبابه فقالت: «إنني والله ما حملته سهواً، ولا أنمته مَئِقاً»[2].

وذكرت المصادر التاريخية والأدبية، والثقافية عدداً كبيراً من الأشعار

---

(١) المصدر السابق/ ٢٢، ٢٣، وانظر أيضاً كتاب: في أدب الأطفال: للدكتور علي الحديدي/ ٣٩ ـ ٤٥، ويبدو أن المصدر السابق أخذ عن هذا الكتاب أكثر معلومات هذا الفصل.
ويرى الأستاذ عبد التواب يوسف «أن أصالة أدب الأطفال عندنا ربما تمتد إلى نصائح (امحتب) وإلى كتاب: ألف ليلة وليلة، والسير الشعبية، وكليلة ودمنة». انظر كتاب: كتب الأطفال في عالمنا المعاصر/ ١٠، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني.

(٢) لسان العرب مادة (مأق)، وكتاب: المرأة في الشعر الجاهلي/ ١٢٢: أحمد الحوفي، وكتاب: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب/ ٤٨ دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٨٢ م. وكتاب (الطفولة في الشعر العربي الحديث) ولا سيما الفصل الثاني منه.
وتقصد «وما أنمته باكياً». وينسب هذا القول لأميمة، ولأم الشاعر تأبط شراً.

في الجاهلية وفي الإسلام كلها تعدّ من الأناشيد أو الأشعار والأغاني الخاصة بالأطفال، وكانت هذه الأغاني تحتوي على كثير من المعاني الخاصة بعاطفة الأبوين نحو الأطفال، أو المعاني المتعلقة بالصورة التي يتمناها الآباء لأطفالهم، أو بالمثل التي يريدون تَنْشِئَةَ الأولاد عليها، ولقد عدَّد مؤلف كتاب «أغاني ترقيص الأطفال» هذه المعاني مع الأمثلة التي تشير إليها وتدل عليها، وهي «بث الطفل الحب وإظهار التعلق به، والتعبير عن العواطف المكنونة تجاهه من حنوٍ وشفقة وفداء وتضحية بالروح والمال من أجله من مثل:

«يا حبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في البلد
أهكذا كل ولد ... أم لم يلد مثلي أحد»[1]

وكذلك تعبر هذه الأغاني عن مدح الولد والإعجاب به والدعاء إلى الله بأن يمتع به أهله، روي أن سلمى بنت صخر أم أبي بكر الصديق كانت تغني لابنها فتقول:

يا بأبي يا بأبي يا بأبي ... كأنه في العز قيس بن عدي
في دار قيس ينتدي أهل الندي[2]

وورد أن امرأة كانت تغني لولدها وتشير إلى الصفات الجميلة التي تريدها له فتقول:

إن بنيَّ سيد العشيرة ... عفٌّ صليبٌ حسن السريرة
جزلُ النوال كفّه مطيرة ... يعطي على الميسورِ والعسيرة[3]

---

(١) المصدر السابق/ ٥٩، وكذلك: تذكرة الآباء: لابن العديم الحلبي، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد ص/ ٢٣ واسم الكتاب الأصلي: الدراري في ذكر الذراري، وانظر كتاب: الغناء للأطفال عند العرب: للدكتور أحمد عيسى/ ٦١ مطبوعات ج م ت العالمية.

(٢) كتاب: أبناء نجباء الأبناء/ ٤٤ ـ ٤٥، وكتاب: أغاني ترقيص الأطفال/ ٦٢.

(٣) مجالس ثعلب/ ص ٤٩٣، ٤٩٤، وكتاب: أغاني ترقيص الأطفال/ ٦٣.

ومن هذه المعاني استحسان مشابهة الولد أهله، أو مشابهته لأحد من ذوي المكانة من أبناء قومه.

ومن هذه المعاني تضمين الأغنيات ما يحب الأهل أن يتصف به طفلهم في مستقبله، ويُؤثَرُ في ذلك أن أم الفضل بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ كانت تغني لابنها عبد الله ـ رضي الله عنه ـ وتقول:

ثكلتُ نفسي وثكلْتُ بكري إن لم يسد فهراً وغيرَ فهر
بالحسبِ العدِّ وبذلِ الوفْر حتى يوارى في ضريحِ القبر[1]

ومن هذه المعاني أن تتمنى الأم لابنها مكانة كمكانة أبيه إن كان قائداً أو شريفاً أو عالماً أو خليفة.. وزعم بعضهم أن هند بنت عتبة كانت تغني لابنها معاوية ـ رضي الله عنهما ـ وتتوقع له مستقبلاً عظيماً فتقول:

إن بُنيَّ مُعْرِقٌ كريمُ مُحبّبٌ في أهله حليم
ليس بفحّاش ولا لئيمٌ ولا بطخرور ولا سئيم
صخر بني فهرٍ به زعيمُ لا يخلف الظن ولا يخيم[2]

ومن هذه المعاني الشكوى من عقوق الأولاد، والمرارة مما يبدر منهم.

ومن هذه المعاني التعريض بالزوج أو الزوجة كل منهما بالآخر، وكذلك المدح أو العتاب أو اللوم أو التبكيت والتقريع، أو التفاخر والاعتزاز.

ومنها ما يخص المداعبة والتفكه فقط، أو إغاظة الأهل أو غيرهم.

ومنها كراهة البنات عند بعضهم، ومحبتهن عند بعضهم الآخر مع

---

(١) الأمالي ٢/ ١٤٧، والمصدر السابق/ ٧٥.

(٢) معرق: عريق النسب. فحّاش: قبيح القول. طخرور: غير جلد، يخيم: يجبن. انظر كتاب: المنمق في أخبار قريش، ط حيدر آباد لابن حبيب ص ٤٣٣، والأمالي ٢/١١٦، ١١٧، وأغاني ترقيص الأطفال عند العرب/ ٨١.

التفاؤل بهن.. وافتدائهن بالنفس.

ومنها وصف محاسن البنت وإبداء المحبة لها..

ومنها التحسر والتباغض بين الضرائر[1].

وفي الكتب التي تتحدث عن الأبناء في تراثنا العربي الإسلامي كثير من الحكايات والقصص ـ إضافة للشعر ـ التي يمكن إدراجها ضمن أدب الطفل، شريطة أن نخضعها لظروف عصرها وطبيعته وقيمه وعاداته، وأذكر في هذا المجال بعض هذه الكتب: (البيان والتبيين) للجاحظ، و (جمهرة نسب قريش) للزبير بن بكار، و (بلاغات النساء) لأحمد ابن أبي طاهر و (الكامل) للمبرد، و (مجالس ثعلب) لثعلب ـ أحمد بن يحيى ـ و (المحاسن والمساوىء) للبيهقي، و (العقد الفريد) لابن عبد ربه، و (الأمالي) لإسماعيل بن القاسم التالي، و (الأغاني) للأصبهاني، و (مجمع الأمثال) للميداني، و (أنباء نجباء الأبناء) لمحمد بن ظفر الصقلي، و (المستطرف في كل فن مستظرف) للأبشيهي و (عيون الأخبار) لابن قتيبة، و (كليلة ودمنة) لابن المقفع، وغير ذلك من الكتب.

---

(١) أغاني ترقيص الأطفال عند العرب/ ٥٣ ـ ١٠٤، وكذلك: الغناء للأطفال عند العرب في إطار السيرة النبوية العطرة، وكتاب: دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم: بقلم عبد الفتاح أبو معال ولا سيما ما بين/ ٦١ ـ ٨٨ (الفصلين الرابع والخامس)، وانظر كتاب: أدب الأطفال ـ مبادئه ومقوماته الأساسية جـ١: تأليف محمد محمود رضوان، وأحمد نجيب، للصف الرابع بدور المعلمين والمعلمات بمصر، ط/ ١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ص/ ١٧. وانظر فصل: تاريخ أدب الأطفال عند العرب ص/ ٢١ في كتاب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام: للدكتور نجيب الكيلاني ط/١، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، مؤسسة الرسالة.

أدب الأطفال عند المسلمين

ولكننا أيضاً ينبغي أن نبحث عن جذور أدب الأطفال في مصادرنا الأساسية في كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ، وفي أحداث السيرة وكتب التاريخ، وفي غيرها من الكتب التراثية الأصيلة.

ولعل بعض الناس يستنكرون أن نبحث عن أصول هذا الأدب في مثل هذه المصادر؛ ويقولون: إن ما فيها من نصوص بعيد عن الأطفال وأدب الأطفال، وهو تشريع وأحكام وتوجيهات ومواعظ، وأحداث وروايات، وأين هذا كله من أدب الأطفال!! إن الذين يستهويهم الغرب بما عنده من تقدم مادي، وبريق صناعي يستنكرون أن يكون في غير الغرب شيء من الفنون أو العلوم، وفي الوقت الذي ينقب فيه الباحثون هناك عن أية مظاهر حضارية أو علمية أو فنية في تاريخهم القديم، ويقبلون أي إشارة تدل على تقدمهم، بالرغم من عدم توثيق هذا التاريخ، في هذا الوقت يرفض أتباع المذاهب الغربية أية إشارة إلى التقدم الحضاري للعرب والمسلمين، ويأبون فهم الدين بغير الصورة التي عرفوها عن الكنيسة.. ولذلك لا يقبلون أن يكون الإسلام منهج حياة، وصانع حضارة، وولادة أمة تحمل أسمى خصائص الإنسانية.

من هذا نرى تفسيراً لاستبعاد كل ما يمت إلى العلوم والفنون والآداب في تاريخنا، ولقد أصبح من الضروري أن نعود إلى هذا التاريخ والتراث ونمضي في التنقيب والبحث للكشف عن كنوزنا ومعالم حضارتنا، ولا يمنعنا هذا من الاستفادة من معطيات المدنية الغربية والتقدم المادي الغربي وغيره شريطة ألا يتعارض ذلك مع عقيدتنا وثوابت حياتنا.

ومن هذا المنطلق ننظر إلى موضوع أدب الطفل، فنرى كثيراً من الآيات الكريمة والسور الصغيرة تناسب سن الطفولة، وتعد نموذجاً رائداً وموجهاً يستمد منه هذا الأدب تصوراته، ويتخذ منه الأديب نبراساً يهتدي بنوره. ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك.

قال الله سبحانه وتعالىٰ في سورة لقمان: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**[1].

وهل أروع من هذا النص الكريم الذي يحمل أصدق عواطف الأبوة، وأحلى صور المحبة والإخلاص للولد، الذي ينشأ في كنف الأب الصالح ورعايته، فيخاطبه بحنو، ويعلّمه ويمحضه النصح الرفيق، بأسلوب هادىء رقيق وعبارة واضحة شفافة، إنه يخاطب الطفل ويتوجه إليه بالنصح والإرشاد، مرة يأمره، ومرة ينهاه، ولكنه لا ينسى أن يصور له الحقائق الكبيرة بصور مجسمة حِسيَّة ليستطيع إدراكها، فيغرس في أعماقه حقائق العقيدة الراسخة بالتصوير الموحي **﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض**

---

(١) سورة لقمان: الآيات ١٣ ـ ١٩، وانظر كتاب: المرأة المسلمة الداعية، فصل: الأبناء ومسؤولية الآباء، للمؤلف.

يأت بها الله إن الله لطيف خبير) إن الآية تصور له الفكرة (القدرة الإلهية وعلم الله عز وجل) بهذه الصورة ليدركها فالله عز وجل يدرك كل شيء، ويعلم كل شيء مهما صغر أو كبر، وأين كان وأنى كان، وفي أي ظرف كان.

والولد الذي يعرف الصخرة، ويعرف السماء والأرض يدرك عظمة الله وقدرته من هذا كله.

ثم توجه الآيات سلوكه توجيهاً صحيحاً بطريقة عملية واضحة **﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾**، **﴿ولا تصعر خدك للناس﴾**، **﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾**، **﴿واقصد في مشيك﴾**، **﴿واغضض من صوتك﴾**، وانظر إلى هذه الصورة الحسية التي يشبه فيها الأصوات المنكرة بصوت الحمار **﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**.

وكذلك لنسمع إلى هذه السورة وما فيها من إيحاءات وصور ومعانٍ: **﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾** معان قريبة، وصور مؤثرة واضحة حية... ومشهد يضع وجدان الإنسان عامة، والطفل خاصة، أمام حقائق الحياة الكبيرة؛ فيعلم أن العبد مهما طغى وبغى واستطال، فهو ضعيف، فإذا بارز الله بالمعاصي والمحاربة قصمه الله فكان كالعصف المأكول. ولكن كيف قصمه؟ بالطيور الصغيرة الناعمة!! الطيور الضعيفة التي لا تملك قدرة ولا قوة ولا عقلاً، ولكنها بإرادة الله تصبح أقوى من جبروت الطغيان.

ولنستمع إلى هذه السورة أيضاً: **﴿تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد﴾**.

ولنتوقف عند هذه الصور البسيطة الواضحة التي توحي بما خلفها من

حقائق ثابتة راسخة ﴿في جيدها حبل من مسد﴾.

وكذلك هناك سور كثيرة ولا سيما في الجزء الثلاثين تناسب مراحل الطفولة، وآيات كثيرة في السور المختلفة، كالآيات التي تقص حكاية الجدل الذي دار بين اليهود ونبيهم عند ذبح البقرة، والآيات الخاصة بنبي الله زكريا، ومريم، ويحيى عليهم السلام. والآيات الخاصة بنبي الله موسى عليه السلام مع فرعون، والآيات الخاصة بحكايته مع اليهود، وقصة موسى والرجل الصالح، وقصة موسى وشعيب عليهما السلام، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الكهف، وقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه، وقصة إبراهيم وإسماعيل وأمه ـ عليهم السلام ـ وقصة نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه.. إلخ.

سور وآيات كثيرة تناسب مراحل الطفولة والفتوة، وتعد نموذجاً رائداً وموجهاً لأدب الطفل المسلم الذي نريد أن يكون ذا سمات واضحة ومميزة، يراعي اهتمامات الأطفال، ويناسب مداركهم، ولكنه أيضاً يؤدي إلى إعدادهم لحياة إسلامية شاملة.

وإذا عدنا إلى الحديث الشريف رأينا نصوصاً كثيرة جداً تناسب مراحل الطفولة المختلفة، وتُعد من الأدب الإسلامي الرفيع، والنماذج الرائدة والموجهة لهذا الأدب. ولنقف عند بعض هذه النصوص:

أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وفي رواية أخرى: «واعلم أن ما أخطأك لم يكُن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع

الكرب، وأن مع العسر يسراً»[1].

مع بساطة العبارات، ووضوحها، ومع شفافية المعنى وإيحاءاته وعلاقته بالواقع، وبحياة الطفل خاصة، والإنسان عامة، مع هذا نلاحظ التكرار في الألفاظ، بل والعبارات ليزيد الأمر وضوحاً ورسوخاً لتثبيت المعنى المقصود من الحديث، وللتأكيد على أساسيات ينبغي أن يتربى عليها الطفل.

ولنقف عند هذا الحديث أيضاً:

عن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولَّني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذلّ مَنْ والَيْت، تباركت ربنا وتعاليت»[2].

وهناك نماذج كثيرة جداً من الأحاديث النبوية التي رواها صغار الصحابة وفهموها وهم في مرحلة الطفولة (أقل من ١٥ سنة) ووعوها عن رسول الله ﷺ، ولما تتجاوز أعمارهم سن الطفولة ما بين السابعة والخامسة عشرة، وهي بحاجة إلى من يجمعها في مجموعات، ويعرضها للأطفال بصورة مناسبة.

وهناك نصوص من الشعر والنثر في كتب السيرة والتراجم، وكتب التاريخ، والعلوم الإسلامية المختلفة يمكن إدراجها ضمن أدب الأطفال، أو وضعها في مجموعات خاصة بالأطفال، ونتوقف في هذا المجال عند كلمة سماحة الأستاذ الشيخ أبي الحسن الندوي في كتابه «نظرات في

---

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي وغيرهما وهو صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وهذا الحديث رواه الحسن وكان صغيراً عندما سمعه من رسول الله ﷺ؛ لأن رسول الله توفي وهو أقل من عشر سنوات.

الأدب» حيث يقول: «إن هذا الأدب الطبيعي الجميل القوي كثير وقديم في المكتبة العربية، بل هو أكبر سناً وأسبق زمناً من الأدب الصناعي في كتب الرسائل والمقامات، ولكنه لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم بما حظي به الأدب الصناعي... ونأخذ كتب الحديث والسيرة ـ كمثال لهذا الأدب الطبيعي ـ أولاً فنقول: إنها اشتملت على معجزات بيانية وقطع أدبية ساحرة تخلو منها مكتبة الأدب العربي على سعتها وغناها...»[1].

وما دام الأدباء يفتشون في زوايا الحياة، وفي الأساطير وغيرها عما يرونه مناسباً لأدب الأطفال، فمن الأفضل أن يبحثوا في هذا التراث الحي الذي يصنع الحياة والمجتمعات ويربي الأجيال على بصيرة. أليس غريباً أن يعودوا إلى الأساطير، والسير الشعبية لأخذ صور وموضوعات للأطفال، ويتركون مرجع العربية (كتاب الله وسنة رسوله)؟

وقبل أن نكمل صورة أدب الأطفال في تاريخنا العربي والإسلامي لا بد من الوقوف عند ظاهرة معينة في كثير من الكتب التي بحثت في موضوع هذا الأدب؛ وهي أن أكثر المؤلفين والباحثين تجاهلوا ما في تراثنا الإسلامي والعربي مما له علاقة بهذا الأدب، بينما توقف كثيرون ممن كتب في هذا الموضوع عند جذور أدب الأطفال عند الغربيين، والشرقيين على حد سواء. ولم أر إلا النادر من الكتّاب قد توقف عند شيء من إنتاج الغرب بالتقويم الموضوعي، والنقد العلمي البناء، ليعرف هل يصلح ما كتبوه للأطفال أم لا يصلح. وهل يتناسب مع فطرة الطفل وعقله ومدركاته أم لا يتناسب. ولذلك لا نجد إلا إشارات عاجلة إلى ما في تراثنا من هذا الأدب؛ وهذه الإشارات لا تتعدى الوقوف عند «ألف ليلة وليلة» وبعض القصص الأخرى، التي كانت لها غايات لا يجهلها العاقل. لذلك لم

---

(١) نظرات في الأدب: الشيخ أبو الحسن الندوي ٢٢، ط ١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، دار القلم.

يجرؤ كتابها ـ الباطنيون ـ على الظهور والوضوح والإعلان عن أنفسهم، بل راحوا يروِّجون مثل هذه الكتابات ويدسون الأخبار، وينسجون من خيالاتهم خيوط القصص والمؤامرات لتشويه الإسلام وأهله. لقد رأى الغربيون في هذا بغيتهم، لأن الذين صنعوا هذا من حلفائهم من اليهود ومن شايعهم وسار وراءهم بعلم أو بغير علم؛ ولذلك احتفوا بمثل هذه الكتب، وألفوا حولها المؤلفات وعملوا الدراسات، ومنحوا الألقاب العلمية لأصحابها، وكأنها التراث الأسمى للمسلمين. وهذا ما دفع أكثر الباحثين لذكرها كأهم مصدر عربي لأدب الأطفال[1].

ويتوقف الدكتور علي الحديدي عند الحديث عن كتاب (ألف ليلة وليلة) فيرى رأياً آخر حيث يقول: «أما سيد مصنفات التسلية «ألف ليلة وليلة» وعشرات المجموعات التي ألفت على شاكلته وحكاياتها عن الجن والأساطير والمغامرات وأسفار البحار وما فيها من (الفابولات) والنوادر التي أمتعت العالم وأسعدته، فلا يصلح منها للصغار إلا النادر القليل كقصة «علاء الدين والمصباح» وقصة «علي بابا والأربعين حرامياً» وبعض مغامرات «السندباد».

ثم يقول: السبب في ذلك أنها تحوي «حكايات الليالي من معالجة سافرة للجنس، ومن أحاديث مباشرة عنها، ولما في قصصها من طول مفرط، وحكايات مركبة أو معقدة لا يتسنى لعقلية الأطفال إدراكها أو متابعتها»[2].

---

(١) انظر مثلاً: (أدب الأطفال ـ مبادئه ومقوماته الأساسية): تأليف محمد محمود رضوان وأحمد نجيب لطلبة دور المعلمين والمعلمات ص/ ١٧، وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف هيفاء شرايحة/ ٢٧، وكتاب: في أدب الأطفال: د/ علي الحديدي/ ٤٥، وكتاب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د/ نجيب الكيلاني/ ٢٧، وكتاب: أدب الأطفال ـ فلسفته وفنونه ووسائطه: تأليف هادي نعمان الهيتي/ ١٠٤.

(٢) في أدب الأطفال/ ٤٥ ـ ٤٦. وكذلك/ ٢١٩ ـ ٢٢٩، وكثير من القصص التي =

أما مؤلف كتاب (أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه)، فإنه ينظر إلى أن كتاب (ألف ليلة وليلة) حكايات وضعتها مخيلة القصاصين لأبناء الشعب في عهود كان فيها الشعب قليل المعرفة، يؤمن بوجود الجن والعفاريت ويجد متعة في أخبار الكنوز المطمورة والقصور المسحورة التي تنقله إلى عالم خيالي رحيب ينسيه مرارة الواقع ومتاعب العيش»[1]، بل يرى أن هذا جزء من الأمر الذي يسود في كل مكان، حسب النظرية الماركسية التي يؤمن بها المؤلف والتي بنى كتابه على أساسها، وينهي نظرته هذه بأن مثل هذه الحكايات التي يرد فيها ذكر العفاريت والجن والسحر، كان نوعاً من الزاد الأدبي الذي يتناوله الشعب وأنه «كان كثيباً لما ينطوي عليه من حكم ومواعظ وأمثولات قاسية»[2].

ثم يقرر أيضاً بأنه لا يوجد أدب للأطفال العرب «إلا أن أدباً للأطفال العرب لم يتبلور بعد» برغم تزايد الاهتمام بأدب الأطفال في أكثر بقاع الدنيا، وسبب ذلك فيما رأى المؤلف «طغيان النظريات التربوية التقليدية، وأن المجتمع كان مجتمع رجل قبل كل شيء؛ وأن الاهتمام بالثقافة والإعلام هو ظاهرة حديثة».

= ذكرها الدكتور حديدي لا تصلح للصغار، وهي مليئة بالدس والافتراء والتشويه لتاريخنا الإسلامي وبعض الصحابة رضوان الله عليهم. وكذلك انظر بحث السير الشعبية وأدب الأطفال للشاعر أحمد سويلم وهو بحث مقدم إلى مهرجان التراث والثقافة بالجنادرية عام ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م.

(١) أدب الأطفال ـ فلسفته، فنونه، وسائطه: تأليف هادي نعمان الهيتي/ ١٠٣. ونلاحظ كثرة التركيز على (ألف ليلة وليلة) من قبل المستشرقين وغيرهم ممن يحملون الدعوة إلى تقليد الغرب واتباعه، والباحث المنصف يتوقف عند السبب الذي جعل مؤلف هذا الكتاب أو مؤلفيه يخفون أنفسهم، ولكن التدقيق في الأمر يشير إلى تلك الحركات الباطنية وغيرها التي كانت تعمل في الخفاء لتهديم حكم الإسلام، والكتاب إسهام في تشويه الإسلام والمسلمين.

(٢) المصدر السابق/ ١٠٣.

بل يصل الحد بالمؤلف إلى إنكار كل أدب الأطفال الذي يخرج عن النظرية الماركسية فيقول: «فإن ما قدم ويقدم للأطفال وفق النظريات التربوية القديمة لا يمكن اعتباره أدباً للأطفال»!!

وكل أدب لا يرتبط بالمستقبل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للأمة لا يعد أدباً[1]!! أي لا يرتبط بالتفسير المادي للحياة. ولهذا يرى أن الحكايات والأقاصيص التي استمدت من تاريخنا هي وليدة عصور العبودية والإقطاع[2]: «وعليه من الخطأ أن نعتبر جميع هذه الأقاصيص والحكايات التي تعبر عن واقع غير واقعنا زاداً رئيسياً لأدب الأطفال»، ولأنها «من تركات المجتمعات المتخلفة في طفولتنا»[3].

وهذا المؤلف الذي يتجاهل أبسط مقومات العقل، وكبريات الحقائق، ويرمي بحقد كل ما ضمه تاريخنا من حضارة علمية وأدبية وثقافية وسياسية كانت بادية واضحة كالشمس، نشرت آثارها حتى الصين شرقاً وحتى الأطلسي غرباً، وسارت حتى ضربت في وسط أوروبا أوتاد الخيام العربية.. وها هي ذي اليوم تبدو لكل الشعوب، الحضارة التي يمكن أن يلجأ إلى فيئها الهاربون من جحيم الحضارات المادية، والمنقذ الوحيد من الصراعات والصرعات المختلفة.

هذا المؤلف الذي ينكر بشكل واضح ومبطن كل ما دعت إليه عقيدة المسلمين، ويتنكر لكل ما أعطته هذه الحضارة، يتجاهل ويتغافل عما يراه في العالم الشيوعي من كوارث لا يصدقها عاقل.. وها هي ذي الدول الشيوعية تنهار واحدة إثر أخرى، ويخرج الإنسان ليدافع عن إنسانيته، ويزيل هذا الكابوس، حتى يقف زعماؤهم وهم يعلنون خطأ ما اعتقدوه، وجريمة ما ارتكبوه، بل يلعنون زعماءهم الذين كانوا رواد هذا المذهب.

---

(١) المصدر السابق/ ١٠٥.
(٢) المصدر السابق/ ١٠٦.
(٣) المصدر السابق/ ١٠٦.

نعم يتجاهل هذا المؤلف ما يحدث في روسيا وألمانيا ورومانيا، وغيرها من البلدان، ولا يستحق هذا الوطن الذي أظله ـ فتنكر له ـ غير صفحات أربع يتحدث بها في كتابه عن «أدب الأطفال في الوطن العربي»[1].

بينما يسهب في الحديث عن أدب الأطفال في البلدان الاشتراكية، وأدب الأطفال الصهيوني بأسلوب كله إعجاب وإكبار، وإن كان يتوارى خلف نقد مادي للأدب الصهيوني.

نخلص من هذه الجولة إلى تسجيل التقصير الذي وقعنا به إزاء تراثنا وأدبنا، وإلى الأحكام المسبقة التي هيمنت على كثير من المؤلفات والدراسات الخاصة بأدب الأطفال نتيجة التقليد، أو الانخراط في الولاءات الحزبية والفكرية الوافدة.

هذا التقصير جعلنا نكسل عن النظر في هذه الكنوز الثمينة، والآثار الكثيرة التي ضمت ما يصلح لأدب الأطفال، لجمعه، ونشره، أو لترتيبه وإعادة صياغته من جديد ليتلاءم مع هذا العصر، وليقدم بالصورة المناسبة لأطفالنا.

---

(١) المصدر السابق/ ١٠٣ ـ ١٠٧، والمؤلف لا يترك مجالاً يتصل بالإسلام إلا ويحاول أن يسيء له في كتابه هذا.

obeikandl.com

أدب الأطفال في العصر الحديث

لقد ظهرت العناية والاهتمام بأدب الأطفال في القرنين الماضيين في أوروبا وأمريكا، وكثير من بلدان العالم بشكل واضح.

ففي فرنسا: وقد كانت في طليعة الدول الأوروبية في العلوم والثقافة، بدأ أدب الأطفال في الظهور في أواخر القرن السابع عشر عندما ظهرت مجموعة «حكايات ماما وزَّة» عام ١٦٩٧ م، وهي تضم عدداً من القصص منها: «سندريللا والجميلة النائمة». . . و «الجنية والقط في الحذاء الطويل» التي كتبها «تشارلز بيرو Charles Perrault» الشاعر الفرنسي الكبير وعضو الأكاديمية الفرنسية؛ ولكنه مع شهرته خشي على مجده الأدبي فلم ينسب هذه المجموعة له، بل استعار لها اسم ابنه «بيرو دار مانكور».

وبعد أن نالت هذه المجموعة شهرة واسعة وإقبالاً كبيراً، أخرج المؤلف مجموعة أخرى أسماها «أقاصيص وحكايات الزمان الماضي» ونسبها لنفسه هذه المرة. وكانت هذه المجموعات أول مراحل التكوين الحديث لأدب الأطفال، وكان لها تأثير كبير في حكايات الأطفال والقَصص الشعبي في كثير من البلدان الأوروبية الأخرى بعد ما ترجمت لهذه اللغات[1]. ولم

---

(١) في أدب الأطفال: د/ علي الحديدي/ ٤٧، ٤٨، ويرى أن انتشار القصص الشعبي العربي وحكايات ألف ليلة وليلة كان له تأثير كبير في أدب الأطفال الغربي/ ٤٦ ـ ٤٧، وانظر: أدب الأطفال: تأليف محمد محمود رضوان وأحمد نجيب/ ١٠، وأدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف هيفاء شرايحة/ ٢٠، ط ٢.

ينتشر أدب الأطفال بعد وفاة (بيرد) إلا في القرن الثامن عشر بعد ظهور «جان جاك روسو» وانتشار آرائه في تعليم الأطفال وتربيتهم، ثم بدأت الكتابة للأطفال تنتشر متأثرة بترجمة كتاب (ألف ليلة وليلة)[1] وبآراء الفلاسفة الغربيين في التربية والنفس الإنسانية وبناء المجتمعات، وبعدها ظهرت أول صحيفة للأطفال في فرنسا ما بين عامي (١٧٤٧ ـ ١٧٩١) ورمز صاحبها لاسمه بعبارة (صديق الأطفال)، وامتازت الكتابات المنشورة بهذه الصحيفة بالسهولة والرشاقة، وكانت تنشر قصصاً متنوعة من بلدان ولغات متعددة، وسدت فراغاً كبيراً عند الأطفال، وانتشرت بعدها حركة التأليف والنشر في فرنسا بشكل واضح.

أما في إنجلترا: فلقد كانت الكتابات للأطفال ممزوجة بالنصح والإرشاد، وتحديد الواجبات والاهتمام بالتهذيب والإصلاح أكثر من اهتمامها بإيقاظ عقل الطفل وإثارة اهتماماته. ولذلك نُشر عدد من الكتب مثل «وصية لابن»، و «التحدث للأطفال»، و «كتابات للبنين والبنات»، و «الرموز المقدسة»، ورافق ذلك ازدهار الحركة البروتستانتية، فظهرت الكتب الدينية وكانت تميل للتخويف والترهيب، إضافة للمواعظ والحكم.

وكان هذا اللون من الكتب غير مرغوب فيه، بل شجبه بعض الفلاسفة آنذاك حتى ترجمت قصص «حكايات أمي الأوزة» للإنجليزية فأثّرت في تأليف كتب جديدة للأطفال، واقترن ذلك باسم «جون نيوبري John Newbery» صاحب المكتبة الشهيرة باسمه، التي خصصها للأطفال. وأخرج (نيوبري) حوالي مائتي كتاب صغير للأطفال تضم القصص

---

(١) يبدو لي أن تأثير كتاب (ألف ليلة وليلة) قد بولغ فيه، فمن جهة أراد الغربيون التمجيد بهذا الكتاب كمثل عن التراث لما حواه من أمور تخالف الإسلام وتسيء للمسلمين. ولتشجيع مثل هذه الصور في المجتمع الإسلامي، وكذلك أخذ العلمانيون العرب هذه المقولة وبدؤوا يشيعونها وينسجون حولها الأخبار والدراسات.

والأساطير والحكايات والخرافات في إنجلترا وأمريكا، مما أكسبه لقب الأب الحقيقي لأدب الأطفال في اللغة الإنجليزية؛ ثم أنشأ قبل وفاته مشروعاً تجارياً لكتب الأطفال ظل حتى القرن العشرين.

وظهرت «ماريا إدجوورث Maria Edgeworth» (١٧٦٧ ـ ١٨٤٩) كأحسن راوية لحكايات الأطفال، وكتبت الحكايات التهذيبية التي مهدت للحكايات الواقعية.

ثم كان لنشوء حركة مدارس الأحد في بريطانيا أثر في ازدهار القصص الدينية للأطفال هناك.

وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهر الكاتب «تشارلز لامب Charles Lamb» (١٧٧٥ ـ ١٨٣٤) فثار على الأسلوب التعليمي في كتب الأطفال وبدأ في عام ١٨٠٦ م بكتابة قصص مسلية وممتعة للأطفال.

وفي عام ١٨٦٥ م ظهرت أشهر مجموعة قصصية كتبت بالإنجليزية للأطفال: «أليس في بلاد العجائب» للكاتب «لويس كارول». وكانت منطلقاً للحكايات الخرافية، حيث انطلق أدب الأطفال إلى عصره الذهبي في القرن العشرين[1].

أما في ألمانيا: فقد بدأ ظهور نوع من الخطابات الخرافية في القرن الثامن عشر. ولكن هذه الحكايات كانت تصلح للكبار أكثر من صلاحيتها للصغار.. وعندما جاء الأخوان «يعقوب ووليم جريم» قدَّما كتباً خاصة

---

(١) في أدب الأطفال: للدكتور علي الحديدي/ ٥٢ ـ ٥٣، وانظر كذلك: بحث (الصغار في ذاكرة الكبار) بقلم محمد العربي الخطابي ـ مجلة الفيصل عدد شهر رجب ١٣٩٩ هـ الموافق (يونيو) حزيران ١٩٧٩ م ص/ ٢٩، وكذلك بحث: (أدب الأطفال) بقلم يوسف أبو عواد، بمجلة المنهل العدد (٤٣٤) جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ الموافق (فبراير ومارس) شباط وآذار ص/ ٨٩ ص/ ١٩٥ وما بعدها، وانظر كذلك: (أدب الأطفال) رحلة في كتاب عرض وتحليل محمود علي مجلة الفيصل العدد/ ٦٤ شوال ١٤٠٢ هـ الموافق (أغسطس) آب ١٩٨٢، ص/ ٨٤ وما بعدها.

بالأطفال، فكتبا في عام ١٨١٢ «حكايات الأطفال والبيوت» وبقي لهذه المجموعة مكانتها رغم مرور عقود كثيرة عليها حتى أصبحت أشهر كتاب في ألمانيا بعد الكتاب المقدس لأنها تتعلق بعيد ميلاد المسيح، وترجمت هذه المجموعة إلى عدد من اللغات الأوروبية، وأهم ميزاتها أنها تدوّن الحكاية كما يحكيها الشعب دون إضافات تشوّهها، ودون اللجوء إلى الرموز أو اصطناع الحكم الخفية[١].

وفي الدانمرك: ظهر رائد أدب الأطفال في أوروبا «هانز كريستيان أندرسون Hans Christian Andrson» (١٨٠٥ ـ ١٨٧٥) الذي نشأ نشأة فقيرة معدمة في طفولته، ولكن موهبته الفنية جعلته من مشاهير الكتاب، ومن المترفين. فرحل إلى بلدان عديدة في ثلاث قارات، وتعرف على الفقراء والمساكين، والأغنياء والمترفين، واستزاد من تجارب متنوعة في هذه الرحلات.

تتميز كتاباته الأسطورية بالنزعة الإنسانية، وبالمضمون الواقعي، مع القالب الفني الجميل، وتظهر الكفاءة من الملاحظات الدقيقة للأحداث والعالم.

وكان (أندرسون) أكثر الكتاب إحساساً بجمال الطبيعة، وإبرازاً للصبغة المحلية من خلال أسلوبه الرشيق. ومن كتبه الشهيرة (البطة القبيحة) و (فتاة المباراة الصغيرة) و (ثياب الإمبراطور الجديد)[٢]، واكتسب أندرسون بميزاته الكثيرة شهرة عالمية كبيرة، وأصبح من رواد كتاب أدب الطفل في العالم[٣].

---

(١) انظر كتاب: (الحكاية الخرافية) ترجمة د/ نبيلة إبراهيم، وفي أدب الأطفال: د/ حديدي/ ٥٣ وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف هيفاء شرايحة/ ٢٣.

(٢) في أدب الأطفال: د/ حديدي/ ٥٤ ـ ٥٥ وانظر ما كتبه عبد الله حسين في كتابه: مذاهب وشخصيات عن أندرسون، وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٢٣.

(٣) نال هذا الكاتب جائزة من بلاده على إحدى رواياته عام ١٨٣٢ م، وانظر مجلة النهضة الكويتية العدد (٤٧٨) السنة التاسعة ١٩٧٦ م ص ٦٢.

وفي روسيا: اعتنت البلدان الشيوعية عناية كبيرة بثقافة الأطفال، وأرادت من ذلك تنشئتهم تنشئة جديدة توافق الفكر والمعتقدات الماركسية، وتفصل هؤلاء عن التراث العقدي والفكري والأدبي الذي سبق الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ م. . ولذلك أصبح تعليم الأطفال وتربيتهم من أولى مهام الحزب والدولة، حتى تنشأ أجيال شيوعية بعيدة عن كل المعتقدات المنافية لها. وكان (مكسيم غورغي) يقول عن الأطفال: (القوة الكبرى) وفي عام ١٩١٧ م أرسل هذا الكاتب رسائل إلى أصدقائه يتحدث فيها عن أهدافه في نشر سلسلة من كتب الأطفال[١].

وأنشأت روسيا والدول الاشتراكية منظمات خاصة بالأطفال أسموها (الطلائع) وخصوها بكثير من البرامج والكتب والجهود لإخراج جيل يناضل ـ حسب زعمهم ـ من أجل الاشتراكية، ولذلك أنشأت روسيا منذ وقت مبكر منظمة أسمتها (منظمة الرواد الشباب) أو (الطلائع) في عام ١٩٢٢ م[٢].

ومن أهم الذين كتبوا للأطفال في روسيا (بوشكين) و (تولستوي) و (مایاكوفسكي) الذي ألف ١٦ مقطوعة شعرية للأطفال. واهتم (إيفان كريلوف) الشاعر المشهور بالكتابة للأطفال على ألسنة الحيوانات[٣].

وكذلك اهتمت بقية دول أوروبا الشرقية الشيوعية بأدب الأطفال وأنشأت مؤسسات متخصصة لكتب الأطفال، ومنظمات متخصصة لتربيتهم تربية شيوعية، وقدمت لهم أدباً خاصاً بهم.

وفي أمريكا: كانت عنايتها بأدب الأطفال بعد أن وصلتها مجموعات

---

(١) أدب الأطفال: تأليف هادي نعمان الهيتي/ ١٠٩.

(٢) المصدر السابق، ومن المعروف أن عدداً من الدول العربية التي تبنت الاشتراكية أنشأت مثل هذه المنظمات ولا سيما في سوريا والعراق (منظمة الطلائع).

(٣) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٢٥. وكذلك: في أدب الأطفال، د/ الحديدي/ ٥٦، ٥٧.

من أدب الأطفال من دول أخرى. ولكنها طوَّرت هذا الأدب ووصلت به إلى المكانة التي لم يصل إليها بلد آخر، ولقد كان تطوير الكتابة للأطفال على يد «صمويل جودريتش» الذي نشر «حكايات بيتر بيلي» في عام١٨٢٧م وكتب أكثر من مائة مؤلف للأطفال عن التاريخ الأمريكي.

وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح الاهتمام بأدب الأطفال واضحاً في أمريكا حيث زادت المخصصات الفيدرالية للمدارس والمكتبات، وظهر عدد كبير من الكتاب الذين اهتموا بأدب الأطفال، وظهرت مجموعات كبيرة من كتب الأطفال الشعبية والخيالية، والتاريخية وغيرها[١]، ويكفي للدلالة على هذا الاهتمام والزيادة المطردة في أدب الأطفال بأمريكا، أن عدد الناشرين بلغ (٤١٠) ناشراً عام ١٩٣٠ م، ثم وصلوا إلى (٥٨٩٥) عام ١٩٦٥ م، وأن بعض الكتب قد بلغ توزيعه أكثر من خمسة ملايين نسخة[٢].

وفي إيطاليا: زاد الاهتمام بكتب الأطفال ونشأت اتجاهات جديدة لبعث التراث من الأساطير والقصص الشعبية، واهتم (ايتالو كالفينو) بمثل هذه القصص. وكذلك امتاز أدب الأطفال الإيطالي بارتباطه الوثيق بالواقع[٣].

وفي اليابان: اهتمام بالغ بكتب الأطفال، ونشرت السيدة (كيوكو إيواسكي) كثيراً من الكتب عن الحيوانات والطيور والأزهار والريف بجماله الخلاب والطبيعة بوجه عام[٤].

---

(١) رحلة في كتاب أدب الأطفال: بقلم فرجينا هافيلاند، عرض وتحليل محمود علي مجلة الفيصل العدد/ ٦٤ شوال ١٤٠٢ هـ (أغسطس) آب ١٩٨٢ م ص/ ٨٣ وما بعدها.

(٢) في أدب الأطفال، د/ الحديدي/ ٥٧ ـ ٥٨.

(٣) أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٢٦.

(٤) المصدر السابق.

في البلدان الأفريقية:

لا شك أن عناية أفريقيا بأدب الأطفال كان متأخراً لفقر هذه القارة، ولوقوعها تحت سيطرة الغرب، ولا سيما فرنسا وإنجلترا، ولذا فإن نشوء أدب الأطفال هناك كان صدى لما عند الغرب في أكثره، ولكن ذلك لم يمنع من ظهور أدب للطفل يناسب البيئات المحلية، ويأخذ من عادات هذه الشعوب في عدد من البلدان الأفريقية.

ففي غانا: مثلاً أُنشئت أول مكتبة للأطفال في عام **١٩٤٩** م، وبعد عشر سنوات وصل عدد المكتبات إلى خمس عشرة مكتبة وأصبح هناك سبع دور نشر تهتم بأدب الأطفال، وقد صدر عام **١٩٧٥** م سبعة وأربعون كتاباً للأطفال بالإنجليزية والغانية[١].

وفي نيجيريا: تكوّن اتحاد لكتاب الأطفال في عام **١٩٦٤** م، ثم عقدت دورة تدريبية للكتاب الجدد وللأطفال بواسطة مؤسسة فرانكلين الأمريكية، وأنشأت منظمة (اليونسكو) مكتبة نموذجية للأطفال في لاغوس. واشتهر في نيجيريا بعد ذلك عدد من الكتاب والكتب[٢].

وكذلك بدأت محاولات لكتابة أدب الطفل عن طريق التعاون بين عدد من البلدان الأفريقية الناطقة بالإنجليزية مثل (كينيا وتنزانيا وأوغندا).

وتكونت في سيراليون مكتبات للأطفال في المدارس حتى شملت أكثر من ٦٠٠ مدرسة ابتدائية، وفي الوقت الذي يهتم العالم بقضايا الطفل لأنه رمز المستقبل، فإن هناك عملاً قائماً في مجال أدب الأطفال ومكتباتهم على أساس عنصري في كل من جنوب أفريقيا وزامبيا، وزمبابوي[٣]..

---

(١) كتب الأطفال في عالمنا المعاصر: عبد التواب يوسف، دار الكتاب المصرية/ ٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق/ ٣٢. ولم نتحدث عن أدب الأطفال في مصر وغيرها من الدول العربية، لأننا أفردنا فقرة خاصة بها.

وهذا انعكاس لسياسة الاستعمار الغربي وتطبيق لفلسفته ومبادئه حينما يطبقها خارج أوروبا.

أما بقية الدول الأفريقية فلا يزال أدب الأطفال في بداياته، ولا تزال هذه الدول بعيدة عن مثل هذه المجالات نتيجة لأوضاعها المتأخرة، وفقر مواردها المادية، وعدم قدرتها على تدبير الحاجات الأساسية للناس.

ولا بد من ملاحظة أمر مهم وهو أن الدول الاستعمارية ولا سيما إنجلترا وفرنسا وأمريكا قد حرصت على تنشئة أطفال هذه القارة على العقائد الغربية، والفلسفات المادية.. ولذلك قام كثير من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الغربية بإنشاء مكتبات، وترجمة عدد من الكتب للدول الأفريقية، واهتمت بشكل خاص بالدول ذات النسبة الإسلامية العالية كنيجيريا، والسنغال، وشمال أفريقيا وأوغندا. لذلك نرى شركة مكميلان البريطانية، ومؤسسة فرانكلين الأمريكية، ومؤسسة فورد الأمريكية، وغيرها من الشركات والمؤسسات الغربية، قد عملت برامج ومكتبات، وترجمت عدداً من الكتب لهذه الشعوب، إضافة إلى السياسة الرسمية التي اتبعتها الدول الأوروبية لكي تطبع هذه الدول بالطابع الغربي العلماني المادي.

في بعض البلدان الإسلامية:

لقد تأثرت الدول الإسلامية بأوضاعها الاقتصادية المتأخرة من جهة، ورزوحها تحت الاستعمار الأوروبي على ترابها من جهة ثانية، ولذلك تأخر انتشار أدب الأطفال فيها. بل كان في بعضها صورة من صور الأدب الغربي لاعتمادها على الترجمات، ولكن ذلك لم يمنع نشوء أدب خاص يحمل طابع هذه الشعوب الإسلامية هنا وهناك.

ففي باكستان: بُذلت جهود لمواجهة النقص في كتب الأطفال فتكونت لجنة وطنية للكتاب عام ١٩٦٥ م وبدأت تصدر فهارس وإحصاءات عن الكتب عامة وعن كتب الأطفال خاصة، حتى تجاوزت

كتب الأطفال أربعة آلاف كتاب، وزاد عدد دور النشر النشيطة في هذا المضمار عن عشرين. ولكن عدد النسخ المطبوعة من الكتب قليل إذا قيس بعدد السكان، وهذا ناتج عن الفقر والأمية المنتشرين في هذا البلد الإسلامي.

ومع ذلك فإن تاريخ أدب الأطفال في باكستان ليس حديثاً، لأنه عندما كتب (لويس كارول) في أوروبا روايته الثانية «إليس في المرآة» كتب (مولاي نزار أحمد) روايته «مرآة للعروس» التي تعتبر أول عمل روائي للأطفال في باكستان باللغة الأوردية.. وكذلك كان (مولاي محمد حسين أزاد) يكتب سلسلة من كتب الأطفال. وقد جاء في رسالة عن أدب الأطفال ما يلي:

«إن كاتب الأطفال يجب أن يرتدَّ طفلاً، يشطب ويصحح ويمسح ويعيد الكتابة كما يفعل الأطفال.. نعم إن كتبهم ابتدائية، لكنها تحتاج إلى جهد جهيد، فصاحبها في نومه وصحوه، في غدوه ورواحه، شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام، لا بد وأن يعايش أفكاراً طفلية»[1].

ومثل هذه الكتابة تدل على تفهم واضح لخصائص أدب الأطفال. وهي كتابة مبكرة لأنها نشرت في منتصف هذا القرن.

وكذلك نشر (مولاي محمد إسماعيل) مجموعة من كتب الأطفال من بينها أشعار وقصص..

ثم نشأت دور نشر خاصة بكتب الأطفال وأصدرت بعض المجلات الخاصة لهم.

في تركيا: يبدو أن أدب الأطفال في تركيا قديم في هذا العصر، إذ بدأ في الظهور كما يقول (كمال ديميراي) في دراسة له عن أدب الأطفال

---

(١) المصدر السابق/ ٤٥.

هناك، في القرن الثامن عشر حيث صدر ديوان الشاعر (نابي) ثم ديوان الشاعر (سمبولزا دمنهمبي)[1] وكان طابع شعرهما هو الطابع الإسلامي التربوي، ثم ظهرت في القرن التاسع عشر عدة مجلات، ولكن في أواخر الدولة العثمانية، بدأت تظهر الهجمة التغريبية العلمانية باسم التحديث والتنظيم، وبدأت الترجمات تغزو هذا البلد المسلم حيث قدم الناشر (أجاها أفندي) ترجمات لكتب الأطفال عن الفرنسية ولا سيما عن (لافونتين) وكان الشاعر (سيناسي) قد عاد من فرنسا متأثراً بالغرب فانعكس هذا التأثر فيما كتبه للأطفال، وكذلك أسهم الشاعر (ناظم حكمت) في هذا الاتجاه العلماني.

وزاد الاهتمام بأدب الطفل بعد إلغاء الخلافة، خاصة وأن ذلك مرتبط بتغيير الكتابة بالحرف العربي للكتابة بالحرف اللاتيني، لإبعاد تركيا عن الإسلام، ولتربية الأجيال تربية غربية محضة، ولذلك كانت العناية بالأطفال أكثر من أي بلد آخر خارج نطاق العالم الغربي، وصدرت مجلات كثيرة، وعملت برامج عديدة في الإذاعة (والتلفزيون) ونشط دعاة التغريب نشاطاً كبيراً، ولقوا دعماً هائلاً من البلدان الأوروبية. ولذلك أصبح في استانبول وحدها أكثر من مائة دار نشر لكتب الأطفال، وتقول بعض الإحصائيات: إن في تركيا أكثر من (٢١٠٠) دار للنشر، وإن كتب الأطفال التي صدرت في عام واحد أكثر من (٦٠٠) كتاب. وهناك حوالي (٣٠٠) مكتبة للأطفال فيها حوالي (٧٠٠) ألف كتاب[2].

ومع ذلك فلقد بدأت الصحوة الإسلامية في هذا البلد تهتم بالأطفال والشباب، وصدر كثير من الكتب الإسلامية الخاصة بالأطفال، وظهر عدد من كتاب أدب الطفل هناك، وظهرت (مجلة الأدب

---

(١) المصدر السابق/ ٤٧.

(٢) المصدر السابق.

الإسلامي) التي بدأت العناية بالأدب الإسلامي عامة، وأدب الطفل بصورة خاصة... وعقدت رابطة الأدب الإسلامي مؤتمرها العام الثاني في المحرم من سنة ١٤١٠ هـ في مدينة استانبول بتركيا، وكانت الندوة الأدبية التي رافقت هذا المؤتمر عن أدب الطفل في الإسلام. وسوف تثمر هذه الجهود ـ بإذن الله ـ ويصبح أدب الطفل أدباً إنسانياً يأخذ روحه من معين التصور الإسلامي.

في الهند: ليس غريباً أن ينحو أدب الأطفال في الهند منحى غربياً، ومع ذلك فقد نشأ أدب للأطفال له طابع تربوي إسلامي، ومن أبرز الذين كتبوا للأطفال سماحة (الشيخ أبي الحسن الندوي)، حيث أصدر عدداً من الكتب الخاصة بالأطفال، وكانت تعرض لقصص الأنبياء وللسيرة النبوية الشريفة، وبعضها يتكلم عن موضوعات علمية تربوية مثل (كسرة من الخبز). وكذلك كتب إسماعيل (ميرتي) عدداً من الكتب الخاصة بالأطفال ومنها دواوين شعرية، وقصص وحكايات، ولقد ترجمت من الأوردية إلى عدد من اللغات ومنها «أول قطرة للمطر» و «براعة الطفل» و «الخاتم المزيف» وهي قصائد شعرية.

وكذلك ترك الشاعر المبدع (محمد إقبال) عدداً من القصائد الخاصة بالأطفال ومن أهمها: «عنكبوت وذباب» و «جبل وسنجاب» و «بقرة وغنم» و «دعاء الطفل» و «التعاطف» و «طائر ويراعة» و «استغاثة الطير» و «نشيد الأطفال الهنود». وقصيدته (دعاء الطفل) نالت شهرة واسعة لأسلوبها ومعانيها الرائعة، وروحها الإنسانية وترجمتها: «تتردد أمنيتي على شفتيَّ بأسلوب الدعاء، والتضرع إلى الله أن يجعل حياتي سراجاً منيراً، وشمعة لامعة وضّاءة، تزيل الظلام الحالك الذي يسود العالم، وأن يستنير كل مكان من ضيائي، وأن يزدان وطني بوجودي فيه، كما يزدان البستان ويزهو بالورود والأزاهير والرياحين، ويكون جل همي مساعدة الفقراء وحب الضعفاء، وأنقذني يا ربي من كل شر، واهدني سواء السبيل والصراط

المستقيم»[1]. وكذلك أسهمت (ندوة العلماء) في لكنو بالهند، ومدارسها ومعاهدها المنتشرة بالمدن الهندية المختلفة بنشر عدد من كتب الأطفال، وكان للعلامة (سليمان الندوي) ـ رحمه الله ـ دور بارز في هذا المجال.

ومن الأمور الجديرة بالذكر والتنويه اعتماد (ندوة العلماء) في تعليم الأطفال الهنود اللغة العربية على الأسلوب الأدبي، ففي كتاب «القراءة الراشدة»[2] كثير من القصص الجميلة المعبرة ذات الأسلوب السهل والمعنى الجليل، والطريقة المشوقة للأطفال. ومنها على سبيل المثال قصة «سفينة على البر» و «الضيف الجائع» و «من دون أُحد» و «على الخشبة» و «شهامة اليتيم» وقصة «عمير في الحنين للشهادة في معركة بدر»[3].

وهناك كتاب آخرون مثل (شفيع الدين نير) و (حسين حسان ندوي) ممن أسهموا في أدب الأطفال[4].

في بنغلاديش: كان أدب الأطفال في الهند بشكل عام، وفي المناطق الإسلامية منها مثل (بنغلاديش) ـ فيما بعد ـ رهناً لنشاطات الهندوس ـ والذين تدعمهم الحكومات الغربية ولا سيما بريطانيا؛ ولذلك

---

(١) بحث مقدم لندوة الطفل المسلم، كتبه الدكتور محسن عثمان الندوي، من جامعة جواهر لال نهرو ـ نيودلهي ـ الهند بعنوان: (أدب الأطفال في الهند بين النظرية والتطبيق). وانظر مجلة البعث الإسلامي العدد الثاني المجلد/ ٣٥ شهر شوال ١٤١٠ هـ مايو ١٩٩٠ م ص ٨٥.

(٢) من تأليف سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي.

(٣) بحث عن أدب الأطفال: لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي مقدم لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

(٤) أدب الأطفال في الهند ـ بين النظرية والتطبيق، بحث بقلم: د/ محسن عثمان الندوي. والأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي كرائد الأدب الإسلامي للأطفال: للأستاذ سعيد الأعظمي الندوي، وهما من البحوث التي قدمت في ندوة أدب الطفل المسلم في تركيا عام ١٤١٠ هـ.

أنشؤوا صفحة يومية في جريدة (الأنباء) (شنباد) الشيوعية عام ١٩٥٢ م تحت اسم «مجلس اللهو واللعب» (خيلها خر عصر). في مدينة (داكا)، واستطاع هذا المجلس الانتشار والتأثير على مختلف النشاطات الأدبية الخاصة بالأطفال في طول البلاد وعرضها.

ثم بدأت صحيفة (اتفاق) اليومية نشر صفحات للصغار عام ١٩٥٦ م تحت اسم «مجلس الصغار» بهدف تربية الأطفال تربية علمانية. وفي عام ١٩٤٠ م أنشئت منظمة الأولاد التاريخية تحت اسم (جند البراعم) لتربية الأطفال على حب الحرية والشعور بالاعتزاز القومي ضد الاستعمار البريطاني، والعنصرية الهندوسية، وبدأ المحرر الصحفي في جريدة (أزاد) اليومية (محمد مدبر) بتخصيص ورقتين أسبوعياً في الجريدة لأدب الأطفال تحت عنوان (حفلة البراعم)، لإثارة مواهب الأطفال المسلمين، ونشرت في عددها الأول لهذا الباب قصيدة بديعة للشاعر البنجالي القاضي (نذر الإسلام) يقول فيها باسم الأطفال:

«نحن أزهار ورياحين، أنتم أنوار غير متفتحة، تعالوا إلى حفلة الزهور وقبل أن نتهافت على الأرض ننضم إليكم ونمشي معكم مبتسمين. نحن فرقة من الزهور أكلها الدود، ولكن أمنية أنفسنا تزيين هذا العالم كالفردوس.

فتعالوا أيها الصغار والصغيرات متكاتفين، وحققوا أحلامنا التي لم نحظ بتأويلها، وهاتوا بالجنة في محافل هذا الكون. واسألوا الله أيها الأنوار قبل تفتحكم ألا يمس أجسادكم مسيس عبودية الخلق في الحياة.

واعلموا أن درجة الشهادة في سبيل الله أرفع المراتب من العبودية، وأيقنوا أن سيف المجاهد أفضل من وسام الخادم، ولا تسألوا الله أبداً أشياء تافهة، ولا تنكسوا رؤوسكم أمام أحد إلا الله، وقولوا: لا نرضى بأن نكون عبَّاداً لأحد إلا لله الواحد، فسترون هذا الكون يهتز ويتزلزل

بمهابتكم» صحيفة (أزاد) اليومية ٧/٨/ ١٩٤٠ م[١].

وأسهم الشاعر الأديب (سيد علي أحسن) والشاعر (جسيم الدين) في تحرير هذه الصفحة الخاصة بأدب الأطفال التي مرّ ذكرها.

وقامت (المؤسسة الإسلامية) بإصدار مجلة شهرية باسم (الورقة الخضراء) للأطفال، ورأس تحريرها الأديب القصاص الأستاذ (شاهد علي) وظلت تصدر ربع قرن.

وكذلك كانت صحيفة (الكفاح) اليومية تنشر صفحة أسبوعية باسم (مخيم الصقور) من عام ١٩٦٩ م. للعناية بأدب الأطفال الصغار. وأنشأت الجماعة الإسلامية في بنجلاديش منظمة خاصة بالصغار تحت اسم (فول كوري عصر) أي (مجلس الزهور) وأصدر هذا المجلس مجلة شهرية للصغار باسم المجلس.

وقامت المنظمة الطلابية للجماعة بإصدار مجلة فصلية تعنى بأدب الأطفال تحت اسم (صوت الصغار).

وهناك صحف أخرى خصصت أبواباً يومية أو أسبوعية للعناية بأدب الأطفال.

ونشأت منظمة علمانية يسارية تحت اسم «النزعة الحرة» لنشر كتب الأطفال، وكانت تعتمد على الترجمة إضافة للكتابات الخاصة لأدباء يساريين من بنغلاديش، وكانت هذه المنظمة تعمل بالتعاون مع (مركز الأدب العالمي للنشر والتوزيع) الذي تدعمه الدول الشيوعية، ثم نشأت (المؤسسة الإسلامية) (بدكا) لتكوين مكتبة حافلة هادفة للأطفال؛ وأصدرت أربع جرائد شهرية مختصة للأطفال؛ في أربع مقاطعات من البلاد[٢].

---

(١) الاتجاهات الأدبية لمستوى الطفل في بنغلاديش: للأستاذ محمد سلطان ذوق بحث مقدم لندوة أدب الطفل الذي أقامته رابطة الأدب الإسلامي العالمية في استانبول عام ١٤١٠ هـ الموافق ١٩٨٩ م.

(٢) المصدر السابق. أما الدول العربية فسوف يأتي الحديث عنها.

هذه لمحة بسيطة عن أدب الأطفال في بعض البلدان الإسلامية. وإذا كانت هذه اللمحة مقتصرة على بعض البلدان، فإن ذلك يدعو الأدباء والباحثين للتشمير عن ساعد الجد في سبيل التعرف على هذا اللون من الأدب في بقية البلدان الإسلامية، ليتمكن الباحث من رسم خريطة متكاملة يتعرف فيها على الواقع، ويستفيد من المعطيات ويستخلص النتائج المبنية على الدراسة الميدانية.

ومهما يكن الأمر، فإن الحاجة ماسة لرسم المنهج الخاص بأدب الطفل على أسس واضحة تهدف لتربية هؤلاء الصغار على القيم الإنسانية الحقيقية، القيم التي لا يعرفها ولا يصونها غير الإسلام، التي تحرر الأجيال من عقدة النقص، والتبعية للغرب المادي؛ في شرقه وغربه.

والعجيب أن نلمس آثار الأفكار الغربية، والمدنية المادية في كل مكان، من التمييز العنصري، والاستغلال، والتكالب على المادة وإثارة النزعات العرقية، والخلافات المذهبية، وإشعال الحروب والنزاعات المحلية، وبذر بذور الشقاق والتناحر في البلد الواحد، واستنزاف طاقات الأمم والشعوب وسرقة خيراتها لصالح الرجل الأوروبي، وتسخير العلم والتقدم التقني لرفاهية أوروبا، ولصناعة آلة الحرب المدمرة لاستعمار الشعوب وإذلالها.

مع كل هذا من العجيب أن يظل المنهزمون داخلياً ينظرون في مجالات الفكر والأدب والفنون إلى الغرب، ينقلون عنه ويقتبسون منه، ويتتلمذون على فلسفته ومبادئه!!.

أدب الأطفال في البلاد العربية:

يقول الأستاذ عبد التواب يوسف عن أدب الأطفال المعاصر في البلاد العربية: «إن أدب الأطفال في بلادنا حديث، وإن كانت جذوره تمتد

إلى مصر القديمة»[1].

ويبدو في هذا القول كما درج عليه أكثر الباحثين من تأثر بالصورة الحديثة لأدب الأطفال، والحكم على هذا اللون الخاص بما عرف عنه عند الغربيين، ولذلك أنكر كثير من الباحثين وجود أدب للأطفال قبل القرنين الأخيرين، واستتبع ذلك ـ أيضاً ـ وضع المعايير الفنية لهذا اللون على وفق ما عرف عند الغربيين، ورموا بالتخلف، أو عدم النجاح كل أثر من هذا الأدب يخرج عن هذه المعايير.

وإذا صحت هذه النظرة، فإنه ينبغي إنكار وجود أي علم، أو أدب أو اختراع قبل أن يُعرفَ عند الغربيين، لأن هذه العلوم المدعاة، أو الفنون والآداب والمخترعات القديمة تختلف في مقاييسها، وطرائقها ووسائلها عما عرفه العصر الحديث.

ولكن الواقع غير هذا، فالآداب، والفنون والعلوم عرفت قديماً وحديثاً ونالت الشعوب ـ على أقساط مختلفة من ذلك كله ـ نصيباً ما.

ولكن أوروبا التي هيمنت على مقدرات العالم خلال قرن ونصف من الزمان، واستطاعت أن تسخر كل الطاقات العالمية في مختلف العلوم والفنون لتقدمها ورفاهيتها، أوروبا هذه استطاعت أن تبرز نهضتها وتقدمها، واستطاعت أن تنقِّب عن مآثرها، بل واستطاعت في غيبة الوعي والصحوة، والتحرر الحقيقي للشعوب الأخرى في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، أن تهيمن على مقدرات الشعوب والأمم وأن تأخذ تراثها، وتستفيد من علومها وفنونها وآدابها، وأن تسرق كنوزها، ثم تخرج ذلك كله بثوب يتلاءم مع أوروبا الحديثة ثم تدَّعي أن كل ذلك من ابتكارها واكتشافاتها!

كم من النظريات العلمية، والقوانين، والبحوث، والاكتشافات

---

(١) كتب الأطفال في عالمنا المعاصر/ ١٠. وفي هذا نوع من العصبية لمصر الفرعونية كما يفعل كثير من كتاب مصر.

والاختراعات التي عرفها العالم الإسلامي قديماً، أخذتها أوروبا وادَّعتها لنفسها في عهود الغياب الإسلامي، أو عصور الانحسار والتفكك الإسلامي؟[1].

لقد تقدمت أوروبا مادياً، ولكن تقدمها كان نتيجة استنزاف مئات الملايين من البشر، وأخذ خيراتهم واستلاب مقدراتهم ونقل علومهم واستغلال كل طاقاتهم المادية والبشرية.

وإذا كانت مثل هذه الحقائق أصبحت واضحة لنا، فكيف بالشعوب الأخرى التي ظلت ترزح تحت نير الاستعمار الأوروبي عقوداً طويلة، حتى فقدت لغتها وهويتها، وصُبغت بالفلسفة الأوروبية، بل ونُقلت إليها الديانة الأوروبية تحت اسم التبشير كما حصل في أفريقيا السوداء وبعض بلدان شرق آسيا. وأدب الأطفال واحد من هذه الألوان التي عرفت قديماً بصور أخرى تتلاءم مع الشعوب والأمم والديانات المختلفة.

وفي البلاد العربية عُرِف أدب الأطفال قديماً، بالقصص، والحكايات الشعبية، والسير المختلفة، والأشعار، ثم في النصوص الإسلامية المختلفة، وإن لم تأخذ التسمية والاصطلاحات الحديثة، وشأنها شأن بقية فروع الأدب وألوان التعبير التي عرفت قديماً دون أن يكون لها السمات التي عُرفت حديثاً في أوروبا.

والغريب أن ينساق إلى هذا الرأي بعض الكتاب الإسلاميين، فيرون أن أدب الأطفال أدبٌ حديث، وأن النصوص التي عرفت عن هذا اللون لا تكوِّن تياراً صغيراً أو كبيراً[2].

وفي هذا تسليم بأن الغرب هو صانع الآداب المختلفة، والفنون العديدة لأن منهج هذه الآداب والفنون يختلف عن منهج الأقدمين، فالقصة

---

(١) انظر كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب.
(٢) أدب الأطفال واقعه وهمومه: د/ عبد الباسط بدر.

حديثة والمقالة حديثة والشعر ـ ينبغي أن يكون حديثاً ـ وينبغي أن نفتش عن مسمى يتلاءم مع الشعر القديم.

والغريب أن يلتمس هذا الادعاء الأساس الفكري وهو أن المنهج التربوي لدى أسلافنا يختلف عن منهج المعاصرين، فقد كانوا ينظرون إلى الطفل، على أنه مشروع رجل؛ ويعاملونه على هذا الأساس في التوجيه والتعليم وتربية الذوق والوجدان[1].

وهذا القول غريب في مضمونه لأنه يسلم بوجهة نظر الغربيين وفلسفتهم في التربية بصورة غير مباشرة، ويعيب على المسلمين منهجهم التربوي القائم على الأصول الإسلامية أيضاً. فضلاً عن أن هذا الحكم الذي يطلقه بعض الكتاب بعيد عن الحقيقة، ويتنافى مع ما عرف عن المسلمين في نظرتهم للطفولة، وفي منهجهم التربوي. بل إن هذا الحكم مبني على تجاهل التربية الإسلامية، وتاريخها العريق، حيث تعتمد في النظر إلى النفس الإنسانية على الحقائق الربانية، وعلى ما ورد في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ من الخطوط الأساسية للنفس البشرية[2]. ولا تسلِّم بالنتائج التي وصلت إليها دراسات النفسانيين الغربيين.

من هذا نخلص إلى أن أدب الأطفال ـ كغيره ـ قديم في البلاد العربية، وإن كانت صورته تختلف عما عرفه العصر الحديث، حيث لا يمكن أن نرى صورة الأدب الحديث عند القدماء، ولا يمكن أن نرى هذه التقسيمات والسمات التي طبعها الغربيون على أدب الطفل، ونشروها بقوة نفوذهم حتى

---

(١) المصدر السابق وكذلك انظر: أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف سعيد أحمد حسن/ ٣٤.

(٢) هناك قائمة طويلة من الدراسات الخاصة بالتربية الإسلامية وأسسها، وكذلك الدراسات الخاصة بعلم النفس، ولا مجال هنا للخوض في هذا الحديث حتى لا نخرج عن موضوع الكتاب.

أصبحت الصورة المألوفة، المعروفة، وغيرها مستنكر مستبعد[1].

أدب الأطفال في مصر:

أما صورة هذا اللون في الوطن العربي في العصر الحديث فقد كان في بدايته صورة مقتبسة، أو معدلة عما عرف في أوروبا، وهذا أمر طبيعي لوقوع البلاد العربية تحت نفوذ العالم الغربي ثقافياً، وفنياً، وسياسياً، واقتصادياً بل وعسكرياً في زمن ليس بقصير، وبدأ ظهور أدب الأطفال حديثاً في البلاد العربية في زمن (محمد علي باشا) في مصر عن طريق الترجمة، وكان أول من ترجم كتاباً للأطفال عن الإنجليزية هو «رفاعة الطهطاوي» الذي اختير ليكون مسؤولاً عن التعليم في ذلك الوقت، بعد أن عاد من بعثته لباريس وقد افتتن بالحضارة الغربية، فجاء ليبشر بالمدنية الأوروبية، وليكون من دعاتها بلباس شيخ أزهري، فترجم قصصاً باسم «حكايات الأطفال» وأدخل بعض القصص في المناهج الدراسية[2].

وقد طلب رفاعة الطهطاوي في خطاب له إلى وكيل الحكومة المصرية المقيم بلندن (السفير) في ١٦ ربيع ثاني عام ١٢٤٣ هـ بأن «يرسل كتباً مطبوعة ومؤلفة للصغار والتلاميذ بحيث تميل أذهانهم إليها»[3].

---

(١) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٢٦. وانظر أيضاً كتاب (الطفولة في الشعر العربي الحديث) حيث أورد فصلاً كاملاً عن (أدب الطفل عند العرب القدماء) ص ٤٩ ـ ٨٤.

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف هيفاء شرايحة/ ٢٧، أدب الأطفال ومكتباتهم: تأليف سعيد أحمد حسن/ ٣٥، أدب الأطفال دراسة وتطبيق: تأليف عبد المتعال أبو معال/ ٢٢، في أدب الأطفال: تأليف د/ علي الحديدي/ ٢٤٠. وانظر تاريخ التعليم في عصر محمد علي: تأليف د/ أحمد عزت عبد الكريم/ ١٧٤.

(٣) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٢٤١، وانظر الوثائق التاريخية لعصر محمد علي.

ولكن الخطوة الكبيرة في كتابة أدب الأطفال في العالم العربي الحديث كانت على يد الشاعر المبدع (أحمد شوقي) لأنه كان أول من ألف أدباً للأطفال (باللغة العربية)، واستفاد فيما كتبه للأطفال من قراءاته في الفرنسية ولا سيما حكايات (لافونتين) الشهيرة[١].

ولقد كتب أكثر من خمسين قصة شعرية للأطفال، ونظم أكثر من عشرة أناشيد أو أغنيات، اتسمت كلها بسهولة الأسلوب، وتسلسل الأحداث ووضوح الهدف التربوي إلى جانب التسلية والترفيه[٢].

يقول شوقي عن الحكايات والأغنيات التي كتبها للأطفال: «وجرّبت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهيرة، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئاً منها، فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة، منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة من خلالها على قدر عقولهم»[٣].

وكان أحمد شوقي يدرك بذلك أن «أدب الأطفال، أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية» لذلك أعطى الأطفال من خلال قصصه الشعرية وأناشيده صورة واضحة لمجتمعهم الذي يعيشون فيه، ولمشكلات حياتهم التي

---

(١) المصدر السابق/ ٢٤٣، والحقيقة أن هناك قصائد نظمت من قبل شعراء سبقوا أحمد شوقي ولكنها في مضمونها متأثرة بالأفكار الغربية، انظر: شعر الأطفال في آخر الكتاب.

(٢) شوقي والطفولة: للدكتور سعد ظلام، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر العدد الرابع ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ص ٦.

(٣) مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات ١٨٩٨ م. طبعة الآداب. وانظر: أدب الأطفال/ ٢٤٢، وانظر: شوقي والطفولة: د/ سعد ظلام/ ٦.

سيواجهونها[1].

واستخدم قصص الحيوانات لما فيها من التشويق والمتعة، مع الحكمة والفائدة وحرص أيضاً على تنمية إحساسهم بجمال الكلمة وقوة تأثيرها.

وكان على وعي بما يكتب، لذلك كان يبتعد عن التعقيد والفلسفة ويجعل كتابته قريبة المتناول من الأطفال، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم[2]، لأنه كان يتمثل الصغار الذين يكتب لهم أمام عينيه، فضلاً عما عُرِف عنه من حبٍ لأولاده، وأحفاده[3].

وفي الحقيقة فإن شوقياً، يُعدُّ بحق رائد أدب الأطفال في العصر الحديث، أخذ من الغرب الخصائص الفنية والأسس والقواعد العامة، لكنه ابتكر مما قرأ من التراث، ومما عرف من التجربة الشخصية موضوعات كثيرة.

لم يستطع أحد أن يكمل ما بدأه شوقي في أول الأمر، وخمد الاهتمام بأدب الأطفال بعد شوقي؛ وإن كانت هناك بعض الإسهامات التي جاءت في هذه السبيل.

فلقد عمد (محمد عثمان جلال) إلى ترجمة كثير من حكايات (لافونتين) في كتابه (العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ) بأسلوب شعري مزدوج القافية؛ ولم يتقيد في ترجمته بالأصل، وإنما حاول إضفاء الطابع المصري على ترجماته، وأن يكتبها على شكل الزجل[4]. وبعده ألّف (إبراهيم العرب) كتاب (خرافات على لسان الحيوان) أسماه (آداب العرب) وقلَّد فيه (لافونتين)..

---

(١) المصادر السابقة.
(٢) مقدمة الشوقيات.
(٣) انظر: شوقي والطفولة: د/ سعد ظلام.
(٤) في أدب الأطفال/ ٢٤٢.

وفي عام ١٩١٤ م ترجم (أمين خيرت الغندور) مجموعة قصص (كنوز سليمان) للكاتب الإنجليزي (راندر هاجرد) وقررته وزارة المعارف على طلبة المدارس.

وفي عام ١٩٠٣ م كتب (علي فكري) كتاب (مسامرات البنات) وفيه كثير من الأدب المتخصص ـ للأطفال عامة، وللبنات خاصة[١] ـ ثم كتب في عام ١٩١٦ م كتاب (النصح المبين في محفوظات البنين) وضمّنه كثيراً من الحكم النثرية والنظمية وبعض الأناشيد له ولعدد من الشعراء والكتاب كشوقي والرافعي واليازجي[٢].

ولكن الخطوة الكبيرة في مسيرة أدب الأطفال في هذا العصر بدأت في العقد الثالث من هذا العصر، عندما ظهر اثنان من الرواد الأوائل لهذا الأدب وهما «محمد الهراوي ـ ١٨٨٥ ـ ١٩٣٩ م» و «كامل الكيلاني ١٨٩٧ ـ ١٩٥٩ م» وعندما بدأ الهراوي بالكتابة للأطفال كان يعلم أن مناخ الأدب والثقافة عامة يرى أنه «لا يهتم بالتأليف للصغار سوى الذين لا يجدون ما يلقونه على الكبار»[٣] ولذلك أصبح موضع سخرية وتهكم من بعض الأدباء، ولكنه مضى قدماً في طريقه لتربية نابتة الجيل وتوجيههم وجهة طيبة صالحة[٤].

---

(١) المصدر السابق/ ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق/ ٢٥٨.
وفي هذا الكتاب أنشودة بعنوان (في طاعة الله والوالدين) يقول فيها:
١ ـ أطع الإله كما أمر — واملأ فؤادك بالحذر
٢ ـ وأطع أباك لأنه — ربّاك من عهد الصغر
٣ـ واخضعْ لأمك وارْضِها — فعقوقها إحدى الكبر
٤ ـ فإذا مرضْتَ فإنها — تبكي بدمع كالمطر

(٣) زكي مبارك ـ البلاغ في ٨/ ٩/ ١٩٣١، في أدب الأطفال/ ٢٥٩.

(٤) د/ مختار الوكيل في مقال نشره بجريدة منبر الشرق في ٤/ ١٠/ ١٩٤٦ م والمصدر السابق/ ٢٦٠.

وأول ما كتبه الهراوي للأطفال منظومات قصصية بعنوان «سمير الأطفال للبنين» عام ١٩٢٢ م، ثم «سمير الأطفال للبنات» ١٩٢٤ م في ثلاثة أجزاء، ثم «أغاني الأطفال» في أربعة أجزاء.. وكتب قصصاً نثرية كثيرة، وواضح فيما كتبه بروز الهدف وسهولة العبارة، ووضوح المعنى وجمال الأسلوب. يقول في إحدى صوره الشعرية عن التلميذ[١]:

أنا في الصبح تلميذٌ ... وبعدَ الظُّهْر نجارُ
فلي قلم وقرطاس ... وإزميل ومنشار
وعلمي إن يكن شرفاً ... فما في صنعتي عار
فللعلماء مرتبة ... وللصناع مقدار

ثم جاء «كامل كيلاني» الذي يعده أكثر الباحثين الأب الشرعي لأدب الأطفال في اللغة العربية، وزعيم مدرسة الكاتبين للناشئة في البلاد العربية كلها[٢].

يقول عنه (عبد التواب يوسف) وهو كاتب مشهور من كتاب أدب الطفل: «وأشهد أنه رائد ورائع بكل المقاييس... وخلال رحلتي مع كتبه وأعماله ـ للأطفال وللكبار ـ اكتشفت أننا أمام عملاق بحق وصدق... وأنه صاحب منهج فيما قدم، ولم يعتمد على أدب الغرب فحسب، بل إن أعماله العربية تشهد له بالوعي، كما كان له فضل السبق في تقديم أعمال أفريقية وهندية لأطفالنا جنباً إلى جنب (جاليفر وروبنسون كروزو)»[٣]. واهتم الكيلاني بتحبيب اللغة العربية للأطفال، وكان يتدرج في الكتابة حسب سنوات العمر، ويحاول إيقاظ مواهبهم واستعداداتهم ويقوي ميولهم

(١) المصدر السابق/ ٢٦١، وكتاب: أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٣٦ وما بعدها.
(٢) في أدب الأطفال/ ٢٦٣، أدب الأطفال ومكتباتهم.
(٣) الطفل والشعر ـ ديوان كامل كيلاني للأطفال: إعداد عبد التواب يوسف/ ٩، ١٠.

وطموحهم وينتهي بهم إلى حب القراءة والمثابرة عليها.

وترك سلاسل كثيرة، فظهرت (مكتبة الطفل) بأكثر من مائتي قصة ومسرحية، وأخذ من التراث العربي والإسلامي، ومن الثقافات الأخرى الغربية والشرقية، وكتب في السيرة النبوية «مجموعة من حياة الرسول ﷺ».

وكان يدرك أن الطفل يحتاج لعقله ومشاعره إلى شتى الطعوم ـ كما يحتاج جسده لأنواع (الفيتامينات) ـ فكتب لتغذية العقول، والتفكير، ولتنشيط الخيال، ولتربية الوجدان والمشاعر، ولتهذيب النفوس، ولإمتاع الصغار.

واهتم بشكل الكلمات واختيار الألفاظ لتزويد الأطفال بثروة لغوية، وتدرج بهم ليصلهم بتراثهم. وكان يسير على منوال المثل الأسباني في قصة (حي بن يقظان) الذي يقول: بأن امرأة أسبانية، كانت تحمل عجلاً صغيراً كل يوم وتصعد به السلم وتهبط، وكبر العجل حتى صار ثوراً وهي على عادتها، تحمله كل يوم دون أن تتأثر لأنها لم تحس بالزيادة الطفيفة التي كانت تزيد كل يوم للعجل، ولذلك كان يحرص على أن تكون اللغة التي يكتب فيها للطفل أرقى من مستواه قليلاً حتى يستفيد بمحاكاتها[1].

ثم ظهر عدد من الكتاب منهم (حامد القصبي) الذي كتب في عام ١٩٢٩ م (التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل) وهي قصص مترجمة مع شيء من التصرف، وكان هدفه تربوياً، لذلك وزعتها وزارة المعارف في مدارسها آنذاك[2].

وظهر أيضاً عدد من الكتب المترجمة على أيدي نصارى ومسلمين.

---

(١) في أدب الأطفال/ ٢٦٥، ٢٦٦، ديوان كامل كيلاني للأطفال/ ١٧، أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٣١، أدب الأطفال دراسة وتطبيق/ ٢٤.

(٢) في أدب الأطفال/ ٢٦٨، أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٣٧.

وأهم ما ظهر في عالم أدب الأطفال ـ كما يقول الدكتور علي الحديدي في هذا العقد (الثلاثينات) ـ كتابات (محمد سعيد العريان)، ويعده «القمة التي لم يسامها أو يدانها أحد من الكاتبين بالعربية للأطفال من قبله أو في عصره، فقد وصل في هذا الفن إلى درجة من الكمال الفني جعلته مثلاً للذين يكتبون للأطفال من بعده»[1].

وللعريان الفضل في نقل الاهتمام بأدب الأطفال للمسؤولين في التربية، ولذلك عمل على توزيع كتب الأطفال على مكتبات المدارس، ورأس تحرير مجلة (سندباد) التي أصدرتها وزارة المعارف لمدة تسع سنوات متوالية. واستطاع أن يحمل (المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) على تخصيص جائزة من جوائز الدولة لأدب الأطفال[2].

ثم اتسع الاهتمام بهذا الأدب وشارك فيه كثير من الأدباء ومن الكتاب والشعراء والقصاص، أمثال «الشاعر (محمود أبو الوفا) و (عبد الرحيم الساعاتي)» والقصاص (عبد الحميد جودة السحار) و (عطية الإبراشي)، و (سيد قطب) وقدم (عبد التواب يوسف) عدداً كبيراً من الكتب المختلفة في أدب الأطفال[3].

وأسهم عدد كبير من الكتاب أيضاً في هذا المجال أمثال (محمد أحمد برانق، وعبد اللطيف عاشور، ومحمد سليم، وعطية زهري،

---

(١) في أدب الأطفال/ ٢٧٠ ولقد أنصفه الدكتور الحديدي، بينما تجاهله كثير من الكتاب. وانظر: عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي/ ٣٤، فصل: عبد التواب يوسف وتطور الكتابة القصصية للأطفال: للدكتور عز الدين إسماعيل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر كتاب: عبد التواب يوسف وأدب الطفل، مع قائمة لإنتاجه الفكري، وله عشرات الكتب في أدب الأطفال، ونال عدداً من الجوائز على إنتاجه.

وأحمد مختار البزرة، وإبراهيم عزور، ووصفي آل وصفي، وأحمد نجيب، ونبيلة راشد، وجمال أبو رية، وإبراهيم شعراوي، ونادر أبو الفتوح، وأحمد بهجت) وغيرهم كثير[1].

أدب الأطفال في عدد من الدول العربية:

إن الحديث عن تطور أدب الأطفال في الوطن العربي في العصر الحديث ينصب بشكل رئيسي على مصر، لمكانتها، ولانتشار مطبوعاتها. ولكن بقية البلدان العربية واكبت ـ ولا شك ـ مصر في هذا التطور، وإن لم تكن لدينا المصادر الدقيقة الجامعة التي ترصد هذا التطور، ولكن بإمكاننا ذكر عدد من الكتاب ـ على سبيل المثال ـ في بعض البلدان العربية.

في الأردن وفلسطين: كان الأستاذ (راضي عبد الهادي) من أوائل الذين كتبوا قصصاً للأطفال منها «خالد وفاتنة».

وكتب الأستاذ (عيسى الناعوري) قصة «نجمة الليالي السعيدة». وكتب (إبراهيم البوارشي) مجموعة من أناشيد الأطفال. وكذلك كتب (روكسي العزيزي) عن التاريخ الحديث. وجمع (محمد إسعاف النشاشيبي) مجموعة من أناشيد الأطفال. وأصدر (إسحٰق موسى الحسيني) ورفاقه بعض القصص. وكذلك كَتَبَ (يوسف هيكل، وعبد الرؤوف المصري، وفايز علي الغول) حكايات وقصصاً من التراث والأساطير الشعبية. وكتب (حسني فريز وواصف فاخوري) بعض الكتب.

وتنبّه بعض الدارسين إلى ما ينشر باللغة العبرية للأطفال الصهاينة، مع التركيز على تربية اليهود الأطفال على الحقد والكره للمسلمين

---

(١) من الواضح أن لاتجاهات الدولة أثر في إبراز بعض الكتاب، والتغطية على آخرين، فمن الذين ذكروا كثير ممن له مئات الكتب المتنوعة للأطفال وربما يزيد إنتاجهم وتجويدهم عمّن أبرزوا، أو اختيروا للتفرغ في هذا المجال.

والعرب، وتصويرهم العرب بالأغبياء المغفلين الجهلاء، وتصوير أطفال اليهود بالجبابرة العظماء الذين لا يقهرون. يقول أحد الكتاب اليهود في توضيح هدفه: «إني أريد أن أخلف جيلاً ينتقم لي ويأخذ بثأري»[1]. ويقول آخر: «حين تكون إسرائيلياً يجب أن تتحمل مسؤولية عظيمة، فنحن شعب الأنبياء، ويجب أن تكون مثالاً ونموذجاً، وإن على الطفل أن يكون مثل بطل القصة تماماً».

وتحرص كتب الأطفال اليهودية على إظهار المسلمين عامة، والعرب خاصة بأنهم غير أخلاقيين، وأنهم تافهون حقراء، مناظرهم بشعة، جهلاء، سارقون، كاذبون، أغبياء، وهم دائماً ينهزمون أمام اليهودي الذكي العظيم الذي لا يقهر.

هذه الصورة دفعت عدداً من الكتاب للعناية بأدب الطفل الفلسطيني، وتضمينه للحقائق التاريخية والعملية عن فلسطين والشعب الفلسطيني، فكتبت (روضة الفرخ الهدهد) على سبيل المثال عدداً من القصص لهذه الغاية منها (عز الدين القسام، وسر القنابل الموقوتة، وقافلة الفداء، والزمن الحزين، ورحلة النضال، ومنقذ القرية، وصائم في سجن عكا، وأسد فوق حيفا، وكفر قاسم» وكلها تتحدث عن المجاهدين في فلسطين، ولها عدد آخر من كتب الأطفال.

وإذا كانت هذه الكتابات جيدة كإسهامات في تربية الطفل الفلسطيني لمعرفة الحقائق عن هذه القضية، فإن المرء يتمنى أن يضع الكتاب هذه القضية موضعها الصحيح وأن يلقنوا الأطفال الحقائق التي أتى بها الإسلام حتى ترتبط قضية فلسطين بالعقيدة والحياة نفسها، وليس بالوطنية والتراب فقط.

---

(١) بحث في تجربة الكتابة للأطفال: روضة الفرخ الهدهد، مجلة المنهل ٤٤٦ ذو القعدة، وذو الحجة ١٤٠٦ هـ تموز وآب ١٩٨٦ م ص / ١٦٤ ـ ١٧١.

وللأستاذ (يوسف العظم) عدد من الكتب الخاصة بالأطفال، وهي تهدف لتربية الطفل على العقيدة الصحيحة، والسلوك الإسلامي، ومعرفة تاريخه وواقعه. ومنها «أناشيد وأغاريد».

وكتب (نبيل صوالحة وكمال رشيد) قصصاً وأناشيد للأطفال. وهناك عدد آخر أسهموا في الكتابة للطفل في فلسطين والأردن منهم «وداد قعوار، ومحمود الشلبي، وجمال أبو حمدان، وفخري قعوار، وحسن الصمادي، وهدى فاخوري، وعادل جرار، ومفيد نحلة، وجاك لحام وغيرهم»[1].

وفي سورية: اهتم عدد كبير من الكتاب والشعراء بكتابة أدب الأطفال وكان (رزق الله حسون) السوري الحلبي المولود في عام ١٨٨٧ م من رواد أدب الطفل، وأول من وضع عبارة أدب الطفل بهذه الصيغة أديب سوري من حوران قبل ستة قرون تقريباً، كما ذكر ذلك الأستاذ (علي حمد الله) في مؤتمر تونس عام ١٩٨٦ م. وكذلك اشتهر (مسلط سعيد) بتقديمه عدد من أغاني الطفولة قبل نصف قرن، وقدم (عبد الكريم الحيدري) حديقة الأشعار المدرسية، ولكن كثيراً من هؤلاء الكتاب تركوا بلدهم وصاروا ينشرون ما يكتبون في بلدان أخرى، ولذلك تغفل المنشورات الرسمية للدولة أسماء هؤلاء ومنهم الأديب العالم الشيخ علي الطنطاوي و «عبد الودود يوسف» الذي أخرج عدداً من قصص الأنبياء، وأصدر مجلة خاصة بقيت تصدر لسنوات. والأستاذ (محمد موفق سليمة) الذي أصدر مئات الكتب للأطفال. وفيها كثير من القصص، والأستاذ (محيي الدين سليمة) الذي اشترك مع أخيه في عدد من المؤلفات.

---

(١) أدب الأطفال ـ دراسة وتطبيق: عبد الفتاح أبو معال ٢٥، أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٣٧، أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٣٩ ـ ٤١. ومجلة المنهل العدد ٤٤٦.

وكذلك (محمد حسن الحمصي)، و (عبد القادر الحداد) الذي أصدر عدداً من الأقاصيص والأناشيد. (ويحيى الحاج يحيى) و (منذر شعار، ونعمت كريم، وخالد كيال، ومحمد البوشي) و (نزار نجار)، و (مصطفى عكرمة) و (علي حمد الله) و (محمد نذير المثنى) و (محمد عدنان غنام)، و (شريف الراس).

وأصدر الأستاذ رضوان دعبول صاحب مؤسسة الرسالة مجلة متخصصة للأطفال باسم (أروى).

كما أصدر عدداً كبيراً من السلاسل، والقصص والأشعار الخاصة بالأطفال.

ولقد عمدت وزارة الثقافة في سوريا إلى توجيه الثقافة بما يتلاءم مع فلسفة الحكم، وأفكاره واتجاهاته، وأصدرت عدة سلاسل للأطفال ضمن مطبوعات وزارة الثقافة، واتحاد الكتاب العرب، ومنظمة طلائع البعث.

وكان من الذين كتبوا للأطفال ضمن هذه البرامج الموجهة التي تلتزم بالنهج القومي الاشتراكي:

(عادل أبو شنب، ونبيل أبو صعب، وجان ألكسان، وزكريا تامر، وسليمان العيسى، وعبد الرزاق جعفر، ومعشوق حمزة، ودلال حاتم، وليلى صايا سالم، وسعد صائب، وخير الدين عبد الصمد، وصاموئيل عبود، وعيسى فتوح، وميخائيل عيد، وسمر روحي الفيصل، ومكرم الكيال، ومحمد بسام ملص، وأيوب منصور، ونزار نجار، وعزيز نصار، ومحسن يوسف... وغيرهم)[1] وكان واضحاً أن الكتابة للأطفال ظلت

---

(١) انظر: أدب الأطفال دراسة وتطبيق/ ٢٥، أدب الأطفال ومكتباتهم/ ٣٤، الموقف الأدبي: عدد ممتاز عن أدب الأطفال في سورية (٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠)، تشرين الأول ١٩٨٨ م، السنة ١٨ ص/ ٣٢٦ وما بعدها ومشكلات قصص الأطفال في سورية: سمر روحي الفيصل/ ١٨١.

منذ عام ١٩٧٠ م تقريباً حكراً على أصحاب الاتجاه العلماني الاشتراكي المادي، وأن النزعة الطائفية تغلب على بعضهم، وأن تجاهل الدين، وتشويه صورة الإسلام والتراث، وتوجيه الجيل لمعرفة الماضي من خلال التفسير المادي للتاريخ أمر واضح في كثير مما كتبه كثيرون، وهناك منظمة حزبية خاصة تولت تربية الأطفال منذ السنوات المبكرة، وكانت تعقد المؤتمرات والندوات السنوية لذلك، وتصدر الكتب والبحوث وتلقن الصغار الأناشيد والعادات التي تخدم هذه الأهداف، وتأخذهم إلى المعسكرات الخاصة ليعيشوا في جو يتلاءم مع الغايات التي يريدونها، وأنشؤوا داراً للنشر باسم (دار الفتى العربي) حيث نشر فيها القصاص (زكريا تامر) أكثر من مائة قصة للأطفال[١].

وفي العراق: اهتمام كبير بأدب الأطفال حيث وضعت الدولة خطة شاملة للعناية بالأطفال من حيث المدارس والهوايات والبرامج والنشاطات والكتب، وأصدرت الدولة مجلة باسم (مجلتي)، وجريدة (مزمار)، وعدداً كبيراً من الكتب الموجهة توجيهاً قومياً اشتراكياً علمانياً.

وفي تونس والمغرب والجزائر وليبيا ظهر الاهتمام بأدب الأطفال، ترجمة وتأليفاً أيضاً..[٢].

وفي السعودية ودول الخليج، بدأت بعض دور المكتبات بنشر سلاسل لكتب الأطفال، ومنها بعض القصص والأشعار أيضاً، والمجلات الخاصة، مثل مجلة (الشبل، وباسم، وماجد، وبراعم الإيمان، وحمد وسحر).

---

(١) زكريا تامر قصاص فنان، اهتم بالكتابة للأطفال، وترك الكتابة للكبار لكي يخدم الفكر المادي العلماني، والاشتراكية، ولقد أشادت الصحف الإسرائيلية بهذه القصص وبفنها وعمقها وجمالها. كما أن الشاعر سليمان العيسى ترك كتابة الشعر للكبار، وتخصص بالكتابة للصغار (أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٣٤).

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٤٢.

هذه جولة عن أدب الطفل المعاصر في البلاد العربية، حاولت فيها إعطاء صورة شاملة عن الاهتمام الشامل بالطفل وأدب الطفل. إضافة إلى صدور العديد من المجلات والصفحات الخاصة بالأطفال، وعقد الندوات والمؤتمرات التي تهتم بالطفولة عامة، وبأدب الطفل بصورة خاصة. ومن خلال الاستعراض السابق نستخلص بعض الحقائق التي لا تغيب عن نظر الباحث: وأهم هذه الحقائق أن أدب الطفل كان تابعاً في التأثر لما كان عليه الوطن العربي خلال القرن الحالي. فقد كان هناك حالة من التأخر والجهل، وتبع ذلك نشوء الحركات الفكرية والسياسية التي تهدف بمجملها ـ مع تعدد أشكالها ـ إلى اتباع الغرب في أفكاره ومعتقداته وصورة حياته. ولذلك رأينا الدول الغربية تنتهي من المرحلة الأولى في تآمرها على المسلمين بتهديم الخلافة لتبدأ مرحلة السيطرة على البلدان الإسلامية عامة والعربية خاصة عن طريق التربية، والفكر والثقافة.

وكانت أولى اهتمامات الدول الاستعمارية دعم الأفكار العلمانية وتشجيع النحل المختلفة التي تبعد الناس عن الإسلام، وكانت تغلّف هذه الدعوات بالولاءات العاطفية، أو الادعاء بالتحديث والتقدم والمعاصرة والتطور والعلم.. إلخ.. وها هي ذي العقود الكثيرة تمضي والعالم الإسلامي يزداد انقساماً وفوضى، لم يحصل على شيء مذكور من التقدم المادي الذي وعده الغرب به، ومع ذلك تخلى عن دينه وابتعد عن منهج الله عز وجل في حياته، وبقي رهن الانقسامات والصراعات والتأخر.

فلا غرابة أن نرى الدول الغربية تهتم أول ما تهتم به في العالم العربي والإسلامي، اصطناع القيادات الفكرية والثقافية والتربوية، كانوا يدرسون طبائع كل شعب على حدة، يعرفون ما يؤثر وما لا يؤثر في الناس. يتعرفون على النقاط التي ينفذون منها، ثم يختارون القيادات بأنفسهم، يحددون أوصافهم ومميزاتهم ليقوموا بالأدوار المرسومة لهم

بكفاءة صاحب الفكرة ذاتها. بهذه الصورة يختارون رجال البعثات، وطلائع المثقفين، ويبرزونهم لدى شعوبهم أحراراً، ومفكرين، ومناضلين وطلائع جيل، ورواد نهضة.

والبعثات كانت من أولى الأمور التي يركزون عليها، والمعاهد التربوية، والمراكز العلمية والفكرية والثقافية من أهم الأهداف التي يحرصون عليها. لذلك نراهم ينشئون المدارس والجامعات، ويقيمون المنتديات، والصحف، والمسارح ويصطنعون القيادات التربوية التي تحمل عبء العمل عن المستعمر ذاته، بل يدخلون في روعهم، في أكثر الحالات أنهم مناضلون حقاً في سبيل أمتهم، وأن قيامهم بهذه الأدوار من الأمور التي تستحق التضحية لأنها تعدل الجهاد ذاته، فلا نستغرب إذا رأينا أكثر القيادات التربوية، والعلمية والفكرية، والأدبية من هذه الصنائع الغربية، ولا غرابة أن نجد الذين يحملون راية المناهج الحديثة في الأدب، والتربية، والعلوم كلهم ممن ربتهم هذه الدوائر الاستعمارية ومنحتهم أرفع الألقاب والمناصب.

وأدب الطفل ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من الأمور، لذلك ابتدأ في هذا العصر وهو يرنو إلى الأدب الغربي، وينظر إليه أنه الرائد والقدوة، وابتدأ كُتَّابه يترجمون ويسيرون على منواله فيما يكتبون، وليس في الأمر غضاضة إذا كان المقتبس يعرف ما يريد، ويدرك الحقائق بشكل واضح صحيح، وإذا كانت ثقته بنفسه تعدل المهمة التي سيقدم عليها.

أما إذا كان يتصدى لمهمته وهو مهزوم داخلياً، في نفسه انكسار وعقدة نقص، وفي قلبه انبهار مما في الغرب، فكل ما هناك متقدم وجيد، وكل ما عنده ضعيف ومتأخر، إذا كان كذلك فلا ينفع معه دواء ولا طعام؛ فالشهد حينذاك مضر لمثل هذه الأجساد.

لذلك فإن الأدب الذي استعرضناه كان صدى لما عليه في الغرب؛ إما عن طريق الترجمة أو الاقتباس، أو عن طريق الاقتداء بالموضوع

والمنهج، أو في البحث عن الصور المماثلة.

ولا يمنع هذا من أن يخرج عن الحصار أناس لا يرون في الدنيا منهجاً يصلح للحياة غير منهج الله، يرفضون التسليم، بل يعملون بجهد الضعيف وقلة الحيلة لتجلية الحق، وتقديم الأصوب والأصلح والأنقى. قد يجهلون بعض الوسائل، قد يقصرون ببعض الشروط، وقد يتعثرون ولكنهم مع ذلك يثابرون على الطريق بفرح، ويأملون من الله أن ينصرهم ولو بعد حين.

وهذا هو الذي يبدو في الصفحة الأدبية والفكرية والثقافية عموماً، وكما هي في كل الصفحات لهذه الحياة.

وإن العقدين الأخيرين شهدا احتدام الصراع، وبداية الصحوة التي دفعت بكثير من الأدباء للإسهام في هذا اللون الأدبي حتى أصبح هناك أدب ينبعث من التصور الإسلامي، ويرنو إلى تربية جيل يؤمن بالله، ويتحمل المسؤولية لبناء حياة إسلامية واعية.

لماذا تأخر ظهور أدب الأطفال في أوروبا؟

من هذا الاستعراض السريع، نرى أن أدب الأطفال في أوروبا أدب حديث، تأخر ظهوره إلى القرنين الأخيرين لأن حضارة أوروبا حضارة حديثة، لا تعدو هذه القرون الثلاثة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الحضارة تقوم على فلسفة مادية نفعية، وتصب اهتمامها على التطور المادي، والتقدم الصناعي، حتى غدا الإنسان عبداً لهذه الآلة الصناعية العجيبة.

واهتمام الغربيين بالأطفال اهتمام مادي بحت، لذلك ـ وخوفاً من الأعباء المادية ـ تكتفي الأسرة بالولد أو الاثنين.

وصور الاهتمام بالطفولة ترتبط بفلسفتهم المادية. حيث يتطلع صاحب المصنع أو الشركة، أو الدولة والمجتمع، لتوفير الأيدي العاملة

الفنية المدرَّبة، المتخصصة، المنتجة لتسيير آلة الصناعة، أو لتشرف على (مكائن) الزراعة، لهذا اهتموا بتهيئة هذه الطاقات منذ الصغر، يشحذون هممهم للعمل، وخيالهم للإبداع، يربطون بين طموحاتهم، وبين الآلة، ويعقدون عقْداً نفسياً بين السعادة والآلة والإنتاج، والتطور المادي، لكي يجني صاحب المزارع والمصانع أكبر الفوائد وبأقل التكاليف.

لا مجال هناك للنظرة الإنسانية الصادقة الصافية. حتى في مشاعر الأبوة كثير من هذه النفعية، وكذلك في مراكز الرعاية والمحاضن ورياض الأطفال بما فيها من برامج تشهد على ذلك، كل هذا لخدمة الإنتاج والعمل، ولا بأس من جفاف العاطفة الإنسانية وقتل المشاعر، وإهدار كرامة الإنسان.

بل إن انتشار مراكز رعاية المسنين والعجزة أكبر شاهد على هذا. أكبر شاهد على قتل الإنسان في داخل ذلك المجتمع. فإذا وصل الرجل أو المرأة إلى مرحلة يقل فيها عطاؤه أصبح منبوذاً، لا حق له في حنان الأبناء، أو برهم، أو عطفهم أو عونهم. ولذلك يُودَعُ مع أقرانه في معاهد الانتظار حتى يموت. والدولة أو المؤسسات الخاصة تكفل له أقل قدر من الضروريات كإنسان ينتظر ساعة الموت، هل نقارن هذه الصور بالمجتمع الإسلامي؟ وهل يمكن لهذا المجتمع الذي ينعدم فيه شعور المرحمة أن ينشىء أدباً إنسانياً للأطفال؟

هل نقارن هذا المجتمع الذي يعيش رفاهيته على حساب مظالم المجتمعات المختلفة، بالمجتمع الإسلامي الذي يرى فيه الإنسان المسلم أن البر بالوالدين الكبيرين من أجلّ الأعمال وأعظم القربات، ويؤمن بأن عقوق الوالدين من الكبائر والموبقات، وأن العناية بالطفل من أهم الواجبات؟

وكذلك فالنظر للأطفال عند المسلمين يختلف عن المجتمعات الأوروبية، ورعاية الأطفال والاهتمام بهم كان مبكراً منذ أن منَّ الله سبحانه

وتعالى عليهم بهذا الدين. فتكوَّن المجتمع الأول المبني على العقيدة، القائم على أساس المؤاخاة، الذي تسوده وشائج التراحم والتعاطف والمحبة، وبُنيتُهُ الاجتماعية الأولى هي الأسرة، والأسرة مسؤولية وأمانة ورعاية.

وحدد الإسلام أهمية تلك الأمانة، والتبعة الملقاة على كل فرد في الأسرة حيث قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»(١).

ويبين للوالدين أهمية ذلك وأثره في الحاضر والمستقبل، وكأنه يشير إلى أن التربية أساسية لكمال النمو الاجتماعي، واستمرارية العطاء، وأن آثارها ممتدة ومرتبطة بين الدنيا والآخرة، فيقول الرسول ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٢).

وهل أعظم من هذه البشرى وهذا التوجيه النبوي الكريم، إذ يحدد للمسلمين سبيل النمو والعطاء وسط الوشائج الإنسانية الكريمة، وكذلك يرسم طريق التواصل بين الأجيال في سبل الحياة كلها، وجوانبها المختلفة: الوجه المادي «صدقة جارية» والوجه المعنوي الفكري «علم ينتفع به» والوجه الإنساني «ولد صالح يدعو له»، فضلاً عن دلالة التربية وأثرها في صلاح الأجيال.

وهذه الوجوه هي عناصر الحياة التي لا بد منها لكي تُصْنع الحضارة: المادة، والإنسان والفكر المرتبط بالزمن هي عناصر الحضارة،

---

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه مسلم.

وهذه العناصر لا تدخل في مرحلة العطاء إلا بشروطها الإيمانية: فالمال الذي يصبح قوة طاغية، أو أداة قهر واستغلال وظلم، هو ذاته عند المسلم وسيلة خير، ووشيجة تراحم وتواصل، وقوة بناء ومنبع عطاء مستمر للمجتمع كله بصورة الصدقة الجارية[1]، والتداول الصحيح المنتج.

والعلم الذي غدا بيد الشياطين من الإنس وزعماء الحضارة المادية الغربية قوة طاغية مدمرة، استهلكت كل طاقات الإنسان، واستعبدته، وتركته يعيش حالة من الاضطراب والقلق والجنون والرعب.. بعد أن سحقت إنسانيته، وقضت على مشاعره وعواطفه. هذا العلم أصبح خطراً ذرياً، وآلة مدمرة، وخططاً رهيبة، وأمراضاً وأحقاداً وأخطاراً وصراعات أفسدت حياة الإنسان باسم الحضارة والتقدم، وأفسدت على الطفولة صفاءها وبراءتها وحيويتها، وأحالتهم إلى عجماوات وأدوات تعالج بالمركبات الكيماوية، هذا العلم لا يعطي نفعه وثمرته المباركة للإنسان إلا إذا سيرته قوى الإيمان، وضبطته شروط الإسلام، وروح هذا الدين العظيم.

لهذا لا يصح ـ ونحن نبحث عن أدب الأطفال، وعن بدايات نشأته ـ أن نسلم ـ كما يدّعي بعض الناس ـ بأنه أدب حديث نشأ في أوروبا، وأنّ علينا أن نلتمس السبل لنأخذه عنهم، ونحذو فيه حذوهم.

أدب الأطفال أدب إسلامي صرف. أدب قرآني، أدب إنساني، ومن هنا فهو من نبع حضارتنا، ومن لوازم مسؤوليتنا. في القرآن الكريم آيات وسور كثيرة تربي الطفل المسلم تربية شاملة، تخاطب عقله ووجدانه، تخاطب كينونته كلها.

فهناك مثلاً «سورة اللهب، سورة الفيل، سورة الناس، سورة الفلق، سورة الصمد، سورة قريش، سورة الفاتحة» وكثير من سور الجزء الثلاثين.

---

(١) ومن يطلع على الوقف الإسلامي الذي يعد من الصدقة الجارية يرى كيف أثمرت هذه الوسيلة في مجالات العلم والجهاد والرعاية الاجتماعية.. إلخ.

وهناك قصص الأنبياء، والأقوام السابقين، وهناك آيات وصايا لقمان لابنه وهناك وهناك.. وكلها ذؤابة هذا الأدب الذي نتحدث عنه ومنبعه الذي يمده بالرواء العذب.

وفي الحديث الشريف نصوص كثيرة لا تحصى، تعد من منابع الأدب الإسلامي ومن ثروته الصافية. وهي تمد أدب الطفل بالينابيع الصافية العذبة.

ولقد مر معنا ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: «يا غلام.. إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

وهناك كثير كثير من الأحاديث في مختلف الشؤون والأحوال.

وهناك كثير من نصوص الشعر، والنثر التي تندرج تحت مصطلح أدب الأطفال، وتحتاج لمن يبحث عنها ويصنّفها ويجعلها في مجموعات تحمل سمات هذه الأمة. ولكن تقصيرنا في البحث هو الذي يجعلنا نستعجل الحكم ونسلم بأن أدب الأطفال أدب غربي حديث، وأن أي صورة تخالف ما تعارف عليه الغربيون في هذا الأدب أو غيره تخرج من إطار هذا المصطلح.

الأدب من أهم الوسائل والأساليب التي تحمل مزايا الأمة، وتعبر عن تصوراتها وقيمها وروحها وحضارتها، وفي صورة الحرف، والكلمة

---

(١) أخرجه الترمذي، وفي رواية أخرى: «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

المفردة، والعبارة والجملة. في صورة التركيب وطريقته، في تلك الأصوات المتعاقبة في الحركات والسكنات، في القطعة الأدبية، والقصيدة الشعرية في القصة، في القول المأثور والخطبة، في الرسالة، والمقالة والموعظة الحسنة، في كل ذلك نجد سمات هذه الأمة، وسماتها التي تختلف عن غيرها من سمات الأمم والحضارات الأخرى.

فما بالنا نسرع في التخلي عن سماتنا الأصيلة جرياً وراء الصور المستحدثة وطلباً لتقليد الألوان الجديدة والأساليب الوافدة؟

وأدب الأطفال هو الغذاء الفكري والروحي لأطفالنا، فهل نعدل عن حليب الأثداء الطيب الحنون وغذاء الأمهات إلى المساحيق المصنوعة، والمركبات الكيماوية الجديدة؟ هل نأخذ صورة هذا الأدب من بلاد المادية البشعة ونترك المنبع العذب في هذا الدين العظيم؟

هل نتابع الغرب في تشكيل الشخصية المقبلة لأطفالنا ـ ليتغرّبوا ـ عن أمتهم ودينهم؟

إن أدب الأطفال في الغرب يخدم فلسفاتهم، وأهدافهم، وينشىء جيلاً حاقداً على الأديان ـ عامة ـ والإسلام ـ خاصة ـ ولهذا فمن الخطر أن نتابع هذا الأدب، أو ننقله إلى أطفالنا.